حكايا توّاق

بقلم

البراء الخليفة التميمي « توّاق »

تقبله الله

تقديم

د . عبدالله بن محمد المحيسني

حفظه الله

حكايا توّاق

أوراق مهاجر من أرض الشام

بقلم

البراء الخليفة التميمي «توّاق»

تقبله الله

تقديم

د. عبدالله بن محمد المحيسني

حفظه الله

بسم اللّٰه الرحمن الرحيم

حكايا تواق

أبو المثنى المدني (تقبله اللّٰه)

تقديم الشيخ:

د. عبدالله بن محمد المحيسني

(حفظه الله)

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد للّه الذي علم الإنسان ما لم يعلم، وأرشده أن يكتب بالقلم ما ينفعه لسلوك الطريق الأقوم الواضح المعلم، وأمر جل اسمه بالتدبر في أنباء من مضى والاتعاظ في أحوال صنوف الأمم، ووبخ من دجا قلبه بالإعراض عن ذلك وأظلم، وشتان ما بين اللاهي والمتذكر، والساهي والمتفكر، ومن هو غارق في الظلمات ومن هو متجلل ومتنور بالنور.

والصلاة والسلام على سيد الأنام ولبنة التمام، من زويت له من الأرض وتم به نظام أنبياء اللّه ورسله العظام، وأزاح نوره الضلال والظلام، حتى ألقى الموفق الموافق لدعوته بيد الاستسلام، كما هو شأن ذوي العقول الراجحة والأحلام، غير خائف من شيءٍ لأن همه أن تتم كلمة الإسلام، وأن تعلو سيوف توحيد الملك العلام.

أما بعد ..

فقد ألف الناس في الأدب والقصص والمقالات كتبًا لا تحصر، وجلبوا فيها ذهباً وحطباً وتفاهات لا تُذكر، وكم من التآليف التي مررنا عليها في ذلك، تصفحنا شينها وزينها، وعلمنا غثها وسمينها، حتى وقع بين أيدينا هذه المقالات الأدبية الرائعة، الممتلئة بالمشاعر والعواطف القوية الصادقة، فوجدناها ملئت ذهباً وجواهر، ودرراً ونفائس، وتلميحات وتوجيهات ومحفزات ومربيات مغلفة بغلاف البلاغة، تمرق من القلب إلى القلب عبر كلمات تخترقه باقتدار وبراعة، خاصة

عندما يمتزج صدق المشاعر مع جودة السبك، وبلاغة الكلام، وحسن التعبير، مما يكون عند القارئ الصورة الكاملة، ويجعله يعيش تلك الوقائع كشهيد عليها، كيف لا، وكاتبها شهيد عليها، شهيد بإذن الله.

وحينما يطلب من أي أحد أن يقدم لكتاب، فإن أول ما يتبادر إلى ذهنه أن ينظر إلى مضمون ما بين يديه من كتاب أو مطوية أو رسالة؛ ليقدم على غرار ما يقرأ، ولكن هذه الرسالة التي بين يدي، ألا وهي: (حكايا تواق)، التي تجذب من أراد التقديم لها أن ينظر في حال كاتبها أولاً قبل أن ينظر في مضمونها ..

نعم.. فما أعظم الأقوال حينما تصدق بالأفعال، وما أعظم الحروف حين تختم بالحتوف، وما أعظم الكلمات حين تصدقها الدماء .. هذا هو حال كاتبنا في هذه الورقات الطيبات المباركات .. إنه أبو المثنى تواق..

أبو المثنى تواق، أديب المجاهدين، وكاتبهم المبدع، ذو القلم السيال ..

أبو المثنى الذي طالما شنف آذاننا بكلماته الرائعة، وأسلوبه البليغ الأديب، فقد كنا ما إن نخرج من غزوة من الغزوات حتى نترقب كتابته وحكايته عن هذه الغزوة بالرغم من أننا كنا شهودًا معه عليها، ولكن ذلك لما فتح الله به عليه من حسن الصياغة، وروعة الكتابة.

إنه تواق، ذلكم الداعية الأديب المجاهد الشهيد كما نحسبه والله حسيبه.

لقد صحبت هذا البطل الداعية، ولطالما اتصل بي يستشيرني في بعض أموره، أو يبشرني في أمور أخر، ولطالما تكلمت معه في مشاريع دعوية طالما تبناها وسارع في القيام بها، ولا أنسى مشروع (يا ابنة الإسلام) حينما أوكلت إليه من قبل القائمين على المشروع أن يفتتح فرعا في (حريتان)، فكان هذا الفرع هو أفضل فروعه، وكان سببا في نشر الحجاب، وتغطية وستر النساء المسلمات.

ولا أنسى ذلك الحفل الذي دعاني لحضوره في (حريتان)، فإذا به يفاجئني بأكثر من ألف طالب في (حريتان) وما حولها حفظوا أجزاء كثيرة من كتاب الله سبحانه وتعالى.

ولا أنسى أن من مناقبه الكثيرة أنه كان بحق يسابق الزمن لخدمة دين الله سبحانه وتعالى، فما إن يفرغ من عمل دعوي حتى يلتحق بغزوة، وما إن يفرغ من غزوة حتى يلتحق بالرباط، وهكذا، صدق مع الله، وعمل دؤوب، حتى ختم سيرته الجهادية بصرخة استنفار يستنفر بها شباب المسلمين، ويستنفر بها الأمة، ويقول فيها: (اليوم يعلم الله الصادق من الكاذب)، ثم يقول: (إنها الجنة فأين خطابها، إنها الجنة فأين طلابها؟)، ثم انطلق بعد ذلك لا يلوي على أحد حتى زف إلينا شهيداً، تقبله الله.

لقد كان صادقاً في كتاباته، صادقاً في جهاده، صادقاً في صرخاته، صادقاً في رثائه، وقد كان يرثي في هذه الحروف التي بين أيديكم ثلة من الصادقين، وأما اليوم فها نحن نرثيه، ونسأل الله أن يتقبله في جنات النعيم.

لا أريد أن أسهب -أيها القارئ المبارك- في الحديث عن هذا البطل، وعن قصصه، وعن ثلمة كبيرة خلفها بعد رحيله؛ لأن الكلام لا تسعه هذه التقدمة البسيطة، ولكن نسأل الله تعالى أن يمن على أهل الشام من بعده بنفرة طلاب علم ودعاة يسدون المكان الذي سده، وغيره. يقول أبو المثنى -تقبله الله-: (حينما عزمت على النفير لم أكن أظن أني سأقدم الكثير؛ لأني لا أملك من العلم شيئاً كثيراً، ولكن مع ذلك رأيت الاستنفار ودعوات النفير فلم أجد بداً من الذهاب، فلما وصلت إلى أرض الشام وجدت أبواب الخير تنادي من كل مكان، فسددت ما سددت)، وأنا أشهد، ويشهد المجاهدون في الشام لهذا الرجل بحسن الخلق، وبالعمل الدؤوب الكبير الذي تعجز عن القيام به جمعيات دعوية كاملة، فلله دره، وتقبله الله.

وفي هذا الكتاب نجده يضمن تلك المقاطع والمشاهد بالنصائح والتوجيهات ومثيرات الغرام إلى ساح الكِلام، فحلى تلك المقاطع بفرائد الكلام، وحلى صدورها بفوائد كالأعلام، وكحلها هذا الحكيم الأريب بإثمد المحابر ومراود الأقلام.

ففي ثنايا تلك الكلمات أنوار للسالكين، وإشارات تدل على طريق الفالحين، وتصغير للعقبات التي ما منها بد، وتعظيم لمقاصد وأهداف الأنبياء وأهل السعد.

وقد بدأ تلك المقالات بالاجتماع والافتراق، والمحبة والأخوة، وأنهاها بذلك، كما هو حالنا معه هو –تقبله الله-، وهذا هو حال الدنيا، وقد ذكر المؤلف في ثنايا كتابه تلك السطور الخالدة، والأمثلة الجليلة المشرقة، والمواقف الجليلة العظيمة، والنماذج الفريدة المنيرة، وما ذكره الكاتب إنما هو لمحات يسيرة، ومقاطع قليلة لا تمثل إلا نقطة في بحر تلك التضحيات والصبر والصمود والرجولة، فهي مجرد إشارات يُقاس عليها، وإلا فقد أهمل من هذا الأمر أبواباً؛ لأنه أعظم من يحويه كتاب أو كلام، فالواقع أكبر وأكثر، وليس الخبر كالمعاينة.

ولا أستطيع أن أخفي سعادتي وانبساطي بهذا السبق، وهذا الحفظ لشيء من تلك الوقائع الخالدة، وفصول البطولة، ومشاهد الوفاء والرجولة، ومواطن الصمود والصبر النادرة العظيمة، فكم أنا سعيد بحفظ تلك التضحيات العظيمة بمثل هذا السبك والإبداع والأدب الرفيع، الذي يتذوقه من عنده أدنى ذوق سليم.

لن أطيل عليك أيها القارئ، بل سأتركك لتقرأ هذه الحروف الطيبة المباركة، إنها ليست حكايا -وإن أسماها حكايا-، وإنما هي قصص تخترق مكامن النفوس؛ لتقرع سويداء القلوب، فتحرك مكامنها للنفير إلى الجهاد في سبيل الله تعالى..

إنها ليست حكايا ، بل إنها تحريض شديد على الجهاد في سبيل الله تعالى ، فحيهلا أيها القارئ ، اقرأ ثم انفر ، وإن كنت نافراً مجاهداً ؛ فاقرأ ثم اثبت واصبر، وسطّر كما سطروا ، والحق بالركب، فهذا مضمار الجهاد والشهادة في سبيل الله يناديك.

وأوصي الإخوة بنشر هذا الكتاب؛ ليصل إلى أكبر عدد من الناس، فهو للشهيد أولاً ، ثم للتحريض على الجهاد في سبيل الله.

كتبه وقدم له راجي اللحاق بكاتبه

د. عبدالله بن محمد المحيسني

مقدمة:

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلّى الله وسلّم على إمام المُتقين وسيدِ المُجاهدين وقائدِ الغُرّ المُحجّلين، وعلى آله وأصْحابه ناشِري لوَاءِ الدين ، وعلى من تبعهُم من سلف هذِه الأُمة وخلفها وأخص منهم من قاتلَ وجاهدَ ورابطَ في كلِّ وقتٍ وحين .

أما بعد ..

فهذا كتابُ (حكَايا توّاق)[1]، حرّره بقلمه، فجمع فيه آمالَهُ وآلامَه، أحزانَهُ وأفراحَه، ذكرياتِه وخيالاتِه.

أوراقٌ لمهاجر .. تحمل مشاهِد مُؤلمة وأخرى مُفرِحة .. أماني يتيمة .. أشواقٌ دفينة .. خواطِرُ سارحة وأفكارٌ شاردة .. رتّبها البراء ودوّنها في هذه السطور.

أوصى - تقبّله الله - أن تُجمع كتاباته في سِفْرٍ واحد ؛ يرتادُها من اشتاقَ حديثَ العزّة ، ويأنسُ بها من تجرّع وَحشة الغُربة ، وينهلُ من فألِها مَن أيأسَهُ حال الأُمّة ..

وبدأ في ذلك، إلّا أنّ المنيّة وافَتْه، فها نحن نُكمل الطّريق بعده، ونُنفّذ وصيّته؛ كأقلِّ حقٍّ له .

نسأل الله أن يرحم ويقبل كاتِب الكلمات، وينفعَ بها المسلمين، ويُعيدَ للأمّة مجدها وعزّتها، إنه نِعمَ المولى ونِعم النصير.

[1] جميع هذه الحكايا لتواق –تقبله الله- وإن كان فيها شيئاً من التصرف في العبارات ممّن جمع حكاياته عنه.

❖ نشأة البراء:

وُلد الشهيد البراء الخليفة -تقبّله الله -: في التاسعِ والعشرين من شهرِ جمادى الآخرة لعام ١٤١٣ من الهجرة.

عاش البراءُ حياة طيّبة رغيدة بين أهله وأقربائه وأقرانه، محافظًا على تعاليم دينه الحنيف، فكان منذُ نعومة أظفاره قريبًا من الله وأهله -أهل القرآن - .. احتضنته مدارس تحفيظ القرآن في مراحل تعليمه الثلاث.

في السنة السابعة عشر من عمره، أكرمه الله بإتمام حفظ كتابه، وأخذ فيه إجازة متّصلة السند إلى النبي ﷺ؛ وعُيّن في حلقته معلمًا للأشبال، وأبًا وأخًا وصديقًا لأولئكَ الأطيار الأطهار -كما كان يُسميهم — وتولى إمامة المسجد.

وفي السنة التاسعة عشرة من عمره التحق بالجامعة الإسلامية -قسم الشريعة- فكان طالباً مجداً متفوقاً محباً للعلم والتعليم.

كانَ مكافحًا في طلبِ العلمِ الشّرعي شغوفًا به، ومن روّاد حلقاتِ حفظِ المتون في الحَرم النبوي.

كان يتلقّف الحِكمة حيثما كانت، فلم يخْلُ جيبُه من مفكّرةٍ صغيرة؛ يفزعُ إليها كلما بَلَغَه عِلمٌ دوّنه فيها!

مضى البراءُ يوم الثلاثاء ١٤٣٤/٤/٢٣ هـ مُيمّمًا نحو الشّام، راميًا خلفه ملذات العيش ورغده.. مضى حتى أصبح في عداد المُجاهدين، الذين بذلوا أرواحهم في سبيل الله للدفاع عن المظلومين والمستضعفين والمضطهدين.

لم يكتفِ البراءُ حين هاجر إلى الشام بسلاحِه وخندقهِ ورباطه؛ بل سعى إلى إعداد مشاريع بناء جيلٍ صحيح العقيدة، حافظٍ للقرآن، عاملٍ بما حفِظ .. فرابطَ على

حلقاتِ القرآن، وأنشأ طلّابًا بأعمارٍ صغيرة، و نفوسٍ كبيرة؛ مليئةٍ بكلام اللّه و حُبّ الجهاد!

افتُتِحت على يديه عشرون حلقة ، يُقدر عدد أطيارِها بخمسمِئةِ طالب ، وشاركَ في إنشاءِ أربعةِ معاهد نسائيّة لتعليمِ أخواتِه أمورَ دينهن وتجاوز عدد الطالبات آنذاك ثلاثمِئة وخمسين طالبة ، وقد كان الأساس في افتتاح فروع لمشروع ابنة الإسلام في حلب لدعوة المرأة المسلمة وتوفير الحجاب الشّرعي بسعرٍ زهيد ؛ تحجّب من خلاله آلافُ النساء.

كان صاحب رسالة وذا عزّةٍ وبسالة !

هاجر بخطىً ثابتة في ليلةٍ ظلماء ، لا يراهُ فيها سوى اللّه ، ساعيًا لرضاه والدار الآخرة ؛ فأرضاه الإله بالشهادة ورضا الخلق - بإذن اللّه - .

سار بخطىً ثابتة وحيدًا ، لا يثنيه انقطاع صديق أو قريب ، ولا شوقٌ ولا حنين .. سعى لرضا الخالق والدار الآخرة فأرضاه الإله بالشهادة - كما نحسبه - ورضا الخلق بإذن اللّه .

يقول المهاجر البراء - تقبله الله -:

" الهجرة شاقة على النفس !

فمفارقة وطنك الذي ملأت صدرك من هوائه .. ومفارقة أمك التي أرضعتك من ثديها حتى تفتقت عُروقك واشتد عظمك .. وأبيك الذي ملأتَ عينه ببرك فأعطاك قبل أن تطلبه ..

وإخوتك الصغار الذين تتعلق أعينهم بدخولك المنزل لتلاعبهم وتضاحكهم ..

ورفقتك التي أضحكتك يوم حزنت وأسعدتك يوم غضبت .. وشيخك الذي رباكَ على عينه .. وبيتك الذي ألفت سكنه ، أمورٌ ثقيلة على النفس ..

الهجرة شاقة ورب الكعبة ..!

الهجرة شاقة وتكاليفها باهظة، ولكن مصيبة أمة تُذبح من الوريد إلى الوريد أكبرُ مشقة وأعظم فاجعة، وشلالات الدماء المُهراقة في كل بقعة لن توقفها إلا عزماتُ الرجال ..

طريقُ المجد والسّمو لا يُنال بالفرش الوثيرة ولا بالأرائك الناعمة؛ بل يُنال بجبهات القتال وبنادق الأبطال حتى يُثأر للعفيفة ويُعبد الله وحده ويُبسَط العدل في أنحاء المعمورة ولا يُخشى إلا الله .! "

سَطر البراءُ أيّامَ جهاده معنى التواضع، فرفعهُ الله بالذكر الحسن والقبول في أنفسِ أطفال الشام وشبابها وشيوخها قبل رحيله.

خاض المعارك مع صحبه المجاهدين، وكان أثناء ذلك ينشُر عبق روحه في أرواحهم .. كان صاحب روحٍ وضّاءة، وحياةٍ للحياة.

يقول البراء: " إنّنا وإن قُتِلنا في سبيل ديننا؛ فإنّ من ورائنا جيلا سيحمِلُ سِلاحنا ساخنا من دمائنا، ولن يدعه حتى يُنصرَ الدين ويُبسط العدل من صنعاء إلى حضرموت ولا يخاف إلا اللّه ..! "

سطّر بدمائه الطاهرة أروع أمثلة التضحية والشجاعة والمروءة والغيرة على أمته..

مضى وهو على الطريق فما نكص، ولا التفت .. متطلّعًا للسماء يرجو ما عند ربه من القناديلِ والجنان.

فهل كانت الهجرةُ والجهادُ والهمومُ والأشواق شيئًا أمام غمسةٍ في جنّات عدن؟!

وهل كانت الهجرةُ إلا أمنيةً لزم بها مِحرابه

حتى استجَاب له ربه!

عزم على الجهاد وهاجر وانطلقَ متطلعًا للسماء راميًا هواه خلف ظهره لم تُثنِه عثراتُ الطريق ولا أشواكه.. حتى وصل!

ثمّ ارتقى البراءُ بدمائه، وبقيت كلماته حيّةً تنطق عنه، و تُحيي فينا عزمًا كعزمِه وقد بيّن الطريقَ الذي سلَكَه وخضّبه بدمِه ، بحروفٍ نسجها من أناملِ يده ؛ ليهديها إلى حبيبة فؤاده.

يقول البراء: " أمي ..لا وقت لدي لتأنيقِ العبارات ولا لتنميقِ المفردات؛ فالخطبُ عظيم!

صحراءُ همي ما لها من آخرٍ، وبحارُ حزني ما لها شطآنُ .. تبكي شراييني دما في مدمعي، وبأعيني تتضاحك الأحزانُ ..

أمتنا في ذل مُطبق! وحصار خانق! وفقر مدقع! وبلايا ورزايا تنوء بحملها الصمّ الصلاد .. ولكن الفرج قريب ونصر الله قادم ووعد الله حق فاصبروا وصابروا.

إنني أطمئنكِ بأننا ثابتين على طريق الحق بإذن الله، لم نغير ولم نبدل أمام عواصف الخوارج الغالين والمرجئة المميّعين؛ بل نحن على طريق الوسط كما عهدتنا.

أُبشركِ أننا نرحمُ الخلق، لم نكفر الطوائف والفصائل ولم نلج أبواب الغلو ولم تتعدى يدنا على دم حرام، ولم نفتح بابا مغلقا بل لزمنا دفع العدو الصائل النصيري

أُبشركِ بأن الله قد أكرمنا بالإثخان بأعدائه، وأكرمنا بشهود عدد من الوقائع التي عصم الله بها دماء أهل السنة في كثير من البقاع، وما هذا والله إلا بتوفيق من الكريم ".

  

قهوة أمي

أتمنى لو أني الآن بجانبك يا أبي .. أقبل رأسك وأتفقد صحتك وأتأمل شعراتك البيضاء التي تخفيها دائما بـ"الحناء" من أجل أن تحافظ على شبابك.

كان صباحي مع أبي مُختلفا .. لا أزال أشم عبقه في كل مكان .. كنت أعود إلى المنزل بعد صلاة الفجر فتستقبلني أمي بابتسامة ساحرة حانية.

كانت عادة أمي الاستيقاظ قبل السحر فتصلي ما شاء الله لها أن تصلي؛ حتى إذا قارب انفلاق الصبح أيقظتنا واحدا تلو الآخر.

كنت أتظاهر بالنوم العميق أثناء إيقاظ أمي لي، لا لشيء سوى أني أحب صوت أمي .. كانت تمسح على شعري وتلاطفني كطفل صغير حتى أستيقظ.

إذا استيقظ البيت ذهبت أمي لإعداد القهوة والشاي ووجبة الإفطار وذهبنا إلى المسجد .. إذا انتهت الصلاة عدنا إلى البيت وكان أبي آخر المصلين خروجا.

أُحب أبي كثيرا ويحبني كثيراً .. كنت أنتظره كل صباح لأسقيه فنجانا من قهوة أمي، وأسكب مع ذلك الفنجان حبي ومودتي لأبي فيسقيني أسراره!

قهوة أمي لها مذاقٌ آخر .. لم أجد قهوة تشبه مذاقها في كل مكان ولن أجد؛ لأن قهوة أمي تصنعها بيدها وكفى!

كان أبي كتوماً لا يفشي أسراره لأحد .. ومع احتساء فنجان القهوة كان يحكي لي كثيراً عن مواقفه ويتقاسم معي همومه ويقص علي قصصه..

كان هذا هو أفضل وقت يطيب لأبي فيه الحديث .. تغيبت عنه يوما فعاتبني، كان يريدني دائما بجانبه أحمل عنه همه ويبوح لي بأسراره التي لا يعرفها أحد.

كان أبي يحمل أسرارا كثيرة لم يكشفها، وكانت لحظات الصباح الأولى مع قهوة أمي كفيلة باكتشاف تلك الأسرار .. أبي كان يبوح لي بأسراره

أسرار أبي ثمينة .. ائتمنني عليها واستودعها في صدري .. حفظت لأبي أمانته وأبقيتها حينا من الدهر ؛ حتى إذا هاجرت ألقيتها في بئر سحيق!

أما أمي فكانت تنشغل بإيقاظ الصغار وتمشيط شعورهم و إلباسهم وتفطيرهم وترتيب حقائبهم قبل الذهاب إلى المدرسة .. وكنا ننتظرهم ريثما ينتهون

الكتمان متعب ، والبوح يخفف الأتعاب .. أشتاق إلى أسرار أبي التي كان يبوح لي بها ؛ لا شغفا بأسراره بل رغبة في تخفيف ألم الكتمان عن أبي.

قامت سُوق الجهاد الشامي واكتوى أهل الشام بنار الطغاة فتوجّب النفير .. كنت أتلذذ بقهوة أمي وجلسة أبي لأني بدأت أشعر باقتراب لحظات الوداع.

كان حاديَ الركب يصيح بين الجوانح باللحاق بقوافل المهاجرين، ومحبتي لأبي ومحبته لي تجعلني في موقف صعب .. اتخذت قراري ووطئت على مشاعري

كانت مصارحة والدي بالرغبة بالنفير فوق كل التصورات ، والدي لم يتوقع أن أفارقه يوما واحدا ولحظة واحدة .. كانت نقطة مفصلية أتعبتني وأتعبت والدي

في بداية الأمر ظن والدي أنني أمزح معه فوافق ، بدأت أحزم أمتعة الرحيل فعلم والدي أن الأمر جد فكانت صدمة كبيرة لم يتوقع عشر معشارها!

لا زلت ألحّ على أبي .. ويقابلني أبي بالصدود .. أخذ يعدني بمستقبل مشرق كما يعد الآباء أبناءهم .. عروضه لم تُغير من موقفي .. أخيرا طلب أبي موافقة أمي

مشاعر أمي كانت معي كل لحظاتي .. أتيتها وأمسكت يدها فقبلتها ، وقبل أن أتفوه بكلمة أخبرتني هي عن سبب مجيئي .. كانت خفقات قلبها تنبض مع قلبي

أحسبها امرأة مؤمنة .. لم تصطدم برغبتي بل كانت تنتظر مني ذلك، كانت تحمل قلب أمتها لا قلبها؛ لذا داست على مشاعرها وأحزانها وقدمت أمر ربها

تحدثنا كثيرا .. وكانت جلسة وداع .. طلبت منها موافقة صريحة؛ فطأطأت رأسها وقالت : لا أقوى على نطقها يا بُني .. قبلت رأسها وعدت إلى أبي.

أخبرت أبي برضى أمي؛ تحير كثيرا وصمت كثيراً .. ثم عاد إلى رفضه، كان يسألني كثيرا عن الجامعة والمستقبل والزواج...

كانت أمي ترتب معي حقيبة الرحيل، وكنت في محاولات طويلة مع والدي .. قصصت تذكرة الطائرة ولم يبق على الإقلاع إلا بضع ساعات.

كان ذلك الصباح محاولة أخيرة مع والدي .. طلبته كثيرا وألححت عليه وكان قلبي يبكي من داخلي محبة له. فتح الله على قلب والدي وختم طلبي بصمت طويل

أخذت رضى صمتياً من والدي بعد أن كدت أن أيأس ، قبلت رأسه و وضعت حقيبتي في السيارة .. قبل الرحيل ودعت أمي ولم تنزل منها دمعة واحدة

تركت لأبي قهوة الصباح .. ولم تطب لي قهوة بعد قهوة أمي..

حالوا بيننا وبين أهلينا بالأسوار والحصون .. وجعلونا مجرمين .. ووعدونا بالسجون .. وعند الله تجتمع الخصُوم.

  

بوح:

أمتــك الموجعــة لا يرقــأ لهــا دمــع، ترمقــك بطرفهــا الكســير، وتمــد إليــك يــدها النازفــة، لعلــك تكــون شــهماً، فتنــتفض لنصرتها..

لا وقت للكسل...

كل ثانية من عمرك بألف ..

❖ تواق..!

مشاهد من مُعسكر التدريب

" أوس" يدرس في (كلية الطب) في ألبانيا للسنة الرابعة .. ترك شهادة الدنيا وأقبل على ساحات الجهاد يبحث عن شهادة الآخرة!

" عبد الرحيم" أذري عمره (٢١) سنة .. أسلمَ وكل أهل بيته على ملة الكفر!

وانطلقَ بعزمٍ كالحديد مهاجراً إلى الله مجاهداً في سبيله..

" أبو مسلم الشيشاني" .. وقور مهيب طويل الشعر صلب الملامح ، ومن عينه تفيض الرحمة..

سألته عن أبنائه فقال "إذا وصلوا ١٥ سنة سأرسلهم إلى الجهاد"!

"شامل" داغستاني عمره ١٥ سنة .. تعجبت من عمره فقلت له : كيف أتيت؟ قال: عائلتنا هاجرت بأكملها ، وأمي جاهدت في الشيشان وأنت تجاهد هنا !

" أبو ذر الداغستاني" بعد مشاق التدريب يهجع الإخوة إلى فرشهم متعبين .. أما تلك الخيمة فينبعث منها نور خافت وصوت متهدج يقرأ سورة الأنفال!

" عبدالرحمن الأذري" .. كان يستمع للقرآن فرأى بين رجليه بيتا للنمل .. أخذته الرحمة فأخذ قطع "البسكوت" من أصدقائه وفتتها للنمل في مشهدٍ مؤثر.

أحدهم استغرقت رحلته ٢٣ يوما تكبّد بها المشاق والصعاب حتى وصل .. وآخر أخذت رحلته شهراً وآخر ثلاثة أشهر..

ما الذي أتى بهؤلاء ؟!

كان معنا أصحاب أوزانهم ثقيلة تتعدّى الـ١٣٠ ك يتدربون بدءا باللياقة البدنية وانتهاءً باقتحام الثكنات العسكرية..

ماذا أبقوا للأصحّاء ؟!

بعد أيام جفافٍ وقحط اكتنفت السماء رحمات ربنا فانهمر المطر بغزارة .. وإذ بمنادٍ يقطع صوت تساقط حبات المطر "احزموا أمتعتكم .. حانَ الرحيل"..

مع حرارة لحظات الوداع تأملت كيف أن أخوة الإيمان مسخت حدود الطغيان .. ركبنا باص الجنة فلوّح الصحاب بأيديهم، وهمس أحدهم "أخي..لا ترتخي"!

بعد سنة من تلك الأيام ها أنا أتذكرها مع تساقط المطر وأتذكر الصحاب، وكيف أنهم أضحوا بين شهيد ومصاب وأسير وعائد .. ولم يبقَ منهم إلا القليل.

  

بوح:

قل لي بربك كيفَ يطيبُ منامك وإخوةٌ لك تراق دماؤهم ويتقحّمون الموت ؟ قم في جَنح الظلام وأوقد حلكة الليل البهيم بنور ركعاتٍ وابتهالات.

الدعاء يا أُخي لا يحتاج منك "خزينة مفردات" ولا "تناغم عبارات"؛ بل قلباً كسيفٍ ينكسر بين يدي خالقه ويتذلل إليه بصدق فتتفتح له أبواب السماء!
قم وتضرّع فرب دعوةٍ منك لم تحسب لها حسابا مزقت عُروش الطغيان وقلبت الموازين .. قم وارفع يديك ؛ فأعجز الناس من عجز عن الدعاء!

❖ تواق..!

ليلة اقتحام الجزيرة

كنا في مقرّنا نتأهّب للنوم.. ففجأة أتانا استنفار عاجل سببه تقدم العدو ، توشحنا الجعب الأسلحة وانتظرنا أمر الأمير لننطلق .

طارَ الكرى عند "يا خيلَ اللّه اركبي" فنفض الإخوة غبار الخمول والكسل واشتاقوا لمقارعة أعداء اللّه والإثخان بهم .. وكل أخ يقوّي عزمَ أخيه.

أتى دليل الطريق فانطلقنا إلى مكان رباط المجاهدين .. تفاجأنا من وعورة الطريق وكثرة منحنياته وتعرجاته وعناء المجاهدين في تعبيده!

أحياناً كثيرة تدخل السيارة إلى فناء منزل وتخرج من طرفه الآخر، أو ننزل في "قبو" ونصعد من الخلف.. كل هذا لأن الطريق الأساسي مرصود من القناص!

عندما تنظر إلى عناء المجاهدين في تذليل الطريق وتكسير ما يعترضهم بالمناجل والمعاول تحتقر نفسك وتتذكر "يا عابد الحرمين لو أبصرتنا"...

وصلنا إلى نقطة التجمع.. رأينا جُموع المجاهدين المتوضئة بالنور المتحلية بالإيمان تستعدّ للقاء العدو وتتضرّع لربها ويأخذون بالتخطيط العسكري.

رأيت شيخنا (عبداللّه المحيسني) صافاً قدميه مع المجاهدين يدعو ويبتهل، سمعته يناجي :"اللهم امنن علينا بالانتصار لعبادك المظلومين.. "

بدأ الدك بالسلاح الثقيل .. أبو معاوية الجزراوي رامي مدفع ٥٧ يأمرنا بالابتعاد ، ثم يكبر ويطلق قذيفة نارية فتهتز الأرض من صوتها وتصعد كرة لهب إلى السماء!

دك الثقيل، فسمعت جندي "حزب اللات" في قبضة التنصت يوهم بتحديد موقعنا ويأمر الرامي بإصابته؛ فيرتبك الرامي فيرد القائد :ارمي حي الله ما بعرف فينه!

تم اختيار المنغمسين.. ملأ الانغماسيون قلوبهم ثقة بوعد الله وساروا كالليل بعزم كالحديد وأعينهم تتطلّع إلى السماء.. يدكون معاقل المرتدين!

فارق الانغماسيون مباني المجاهدين فأصبحت أمامهم منطقة مكشوفة بعدها مباني الكفار..

نظروا إلى السماء فإذا بدرها الجميل يهمس في آذانهم أن اشتقت إليكم!

نزل الانغماسيون كالسيل المهدار في المنطقة المكشوفة ما بين زحف وتقلب وركض..

اقتربوا من أول بنايتين فانقسموا إلى ثلاث سرايا ليقتحموا من كل الجهات..

سرية "القوقازيين" استلمت الجناح الأيمن فكانت من أوائل المقتحمين..

تفاجأ جند الباطل من هذه الجسارة والشجاعة فهربوا إلى الجناح الأيسر..

سرية "الشرعيين" كانت لهم بالمرصاد فرأت مجموعة تهرب من الباب الخلفي، فقال أمير الشرعيين :"سمسم سمسم" فلم يرد أحد، فأمطروهم بالرصاص ! "سمسم" هي كلمة السر، جوابها "عيد" ليتميز العدو من الصديق .. فإذا قلت "سمسم" ثم قال الذي أمامك "بطيخ..." تنزل أمان السلاح وترشه (:

هرب الكفار فتمت السيطرة على أول بنايتين وتمركز بها الإخوة..

وجدوا أوراق رباط اليوم وربطات حمراء عليها "يا حسين يا علي" ليوم عاشوراء!

وجد الإخوة جوال جندي من حزب اللات؛ فاتصلوا على آخر رقم وقالوا له: "قتلنا صاحبكم" ، .. أظنه مات (:

وجد الإخوة دفتراً لجنود حزب اللات أوله توحيد :(بسم اللّه الرحمن الرحيم) وآخره كفر :(يا زينب يا علي...) فعليهم لعنات اللّه تترى..

لم يطق القوقازيون صبرًا فتسابقوا إلى اقتحام البنايات الأخرى، وبقي بعض الإخوة يرابط على أول مبنيين.

البرد شديد يجمد الأطراف.. ومن غلبه النوم فعلى البلاط البارد، أو بساط ينام عليه البعض ثم ينتظرهم غيرهم حتى يستيقظوا فيأخذوا مكانهم!

بردٌ قارس ودويّ غارات لا يهدأ، قذيفة تتبعها قذيفة والشظايا تطير في كل مكان..

فجأة صاح أحد الإخوة لننقذه فهناك شظية أصابت رأسه!

لم يبقَ كثير على طلوع الفجر، والقذائف كحبات المطر لا تستطيع معها أن تغفي لحظة واحدة .. والإخوة ما زالوا يتقدمون ويحررون بحمد اللّه

قذف اللّه عز وجل في قلوب العدو الرعب، فأمام تكبيرات الإخوة وضرباتهم الموجعة كانوا يتقدمون والعدو يهرب ولم يطلق إلا بضع رصاصات..

بزغ الفجر وخرج النور .. تحررت خمس بنايات ولكن القناص رصد طريق العودة ونقصت الذخيرة وانتهى الطعام، فأصبح الأصحاب في قلب الحصار والجوع!

أراد أحدهم العودة لجلب التعزيز والطعام ولم ينتبه للقناص فأصابه فأصبح يتلوّى على الأرض، وأصحابه يرونه فلا يستطيعون إنقاذه؛ لأن القناص سيصيبهم كذلك!

هبّ اثنان من آساد الوغى في عملية بطولية فدائية راكضين إلى منطقة القناص لحمل الجريح والرصاص يتخطفهم من كل جانب، فحملوه وعادوا..

ظل الجريح ينزف ولا قدرة على مداواته ولا إرجاعه إلى النقطة الطبية .. ظل ينزف بين يدي أصحابه وأحبابه ست ساعات حتى جاورَ الرفيق الأعلى واصطفاهُ إن شاء الله.

من أقسى اللحظات أن ينزف صديقك بين يديك ولا تقدر على إنقاذه، ثم يودعك ويغادر الدنيا أمام ناظريك.. تشعر أن روحك تخرج مع كل قطرة دم نزفها!

تتأمل في الجسد الطاهر المسجى بين يديك .. كيف أنه كان يعاني والآن يتنعّم، كيفَ ودعك على أمل أن تلحقَ به، كيف أنه مات موتة أعظم من موتة الساجدين الراكعين!

تتأمل في صديقك الراحل .. كيف صعدت همته إلى السماء أولًا فأكرمه الله بصعود رُوحه، كيفَ تستقبله حور الجنان..

يفتنك مشهده فتقبل جبينه ثم تكمل طريقه

توزع الإخوة في البنايات الخمس، ثم شاهدوا عربة BMB الكفار تذهب ثم تعود محملة بالجنود، توزع الكفرة حول البنايات وسُمِع استغاثتهم بالحسين وعلي!

أُسقِط في يد الإخوة، فالكفار يحاصرونهم وقريبون منهم والذخيرة قليلة والقبضات فارغة، فما كان منهم إلا أن شكلوا مجموعة اقتحام وتغطية!

كان عدد الإخوة المحاصَرين ٢٠، نقص ستة منهم ما بينَ جريح وشهيد، فرأى الأمير إلغاء الاقتحام لقلة العدد والذخيرة واستمرار الرباط والتأهّب حتى يأتي الله بالفرج!

قبل انتهاء شحن قبضة الإخوة المحاصرين سُمِعوا يقولون : "إسناد ، إسناااد.." بصوت ذابل هزيل .. حتى انقطع الصوت تمامًا ولا ذخيرة ولا طعام!

أصبح الإخوة يوم عاشوراء على جهاد وانغماس ومن السنة الإفطار للتقوّي على العدو، ولكن المحاصرين صاموا لعدم وجود الطعام أصلًا!

كان الكفرة يتقدمون ولكنهم جبناء لا يجرؤون على الاقتحام، والقذائف كانت تصيب بنايات الإخوة كل ثانية حتى سقط السور.. والإخوة في معية الله!

ورغم شدة القصف والحصار والجوع والشهداء والجرحى وو.. إلا أن الله قد ألقى سكينة وانشراحا في الصدور؛ بل يقسم الإخوة أنها أسعد لحظات حياتهم!

لما خيّم المساء وأُمِن طريق العودة فُك الحصار .. صافحنا العائدين فإذا هم مغبرّون منهكون يتهادى بعضهم على بعض؛ بل أن أحدهم سقط على الأرض مغمىً عليه!

عانقت هذه الأجساد المتعبة ووددت تقبيل رؤوسهم على عظيم تضحياتهم وبذلهم

ثم تذكرت من يطعن في ظهورهم وهم منشغلون بمقارعة الأعداء فطأطأت رأسي

رأيتهم قد أعياهم التعب وأضناهم الجوع وهم يحمون حياض الدين؛ فتذكرت من يخوّنهم ويسقطهم ويوجه سهامه إليهم .. فقلت : أجركم عند الله!

الله وحده يعلم عظيم عناء المجاهدين وما يلاقونه من محن تدكدك الصمّ الصلاد .. كم من ليلة خافوا وزلزلوا فما وهنوا لما أصابهم في سبيل الله!

وأنا أرى أجساد الشهداء ودماء المصابين، يُخيّل إلي أن هذه الثلة المؤمنة هي أطهر ثلة على وجه الأرض؛ لعظيم بذلها!

من حقّ هؤلاء الأبطال أن تدوّن سيرهم في كتب التاريخ وأن تحتفي بهم الأمة وأن يُربى الجيل على حبهم، لا أن يُخوّنوا ويُرموا في أقبية السجون والزنازين

والله إن أحذية الشهداء هي أشرف من تيجان السلاطين العملاء، وإن قلامة أظفر نصر الدين هي أشرف من كل من خانوا الدين باسم الدين .

كان رباط البنايات الخلفية لكل مجاهد ساعتين ثم يستريح، صديقي "أبو البراء" رابط ست ساعات، قلت له لماذا ؟ قال : أدوّر الشهادة لعلها تأتي (:

لما عدنا من المعركة قال لي صاحبي "أبو البراء": دخلنا كم معركة ولم تأت الشهادة، شكل نهايتها عملية استشهادية (:

بعد المعركة وفي طريق العودة يشعر الإخوة أن الأوزار والذنوب قد ألقي منها عبءٌ ثقيل .. ويسألون ربهم القبول..

والسلام...

  

بوح:

أكبـــادُنـــا متقرِّحة من طعناتِ الأعداء .. موجوعة من اعتداءاتهم .. متوعّكة من تدنيســـهم منابرَ أهل الســـنة .. متلوّعة من استغاثات الحرائر والثكالى.

أســـعِدوا قُلوبنا يا مجاهدينا و يا أملنا بعد اللَّه .. جراحاتنا عُظمت فخففوهـــا ببشـــائركم .. عالجوها باقتحاماتكم .. أثلجوا صُـــدورنا بانغماساتِكم

النظرات المُرهَقة متجهة إليكم .. والأعين المُتعبة تترقب بشائُركم .. والـــقُـــلـــوب الـــمـــثـــلـومـــة تتحرّق شـــوقـــا لانتصــــاراتكم.. فخِّخُوهم .. لغموهم .. فجِّروهم .. جَنـــدِلوهُم .. أحرقوا الأرضَ نـــارا من تحتهم .. أعمِلوا فيهم معـــاولكم قتلا وجرحا وأســـرا .. واجعلوا أرض (ريـــف حـــلـــب الـــجـــنـــوبـــي) مـــقـــبـــرة لـــهـــم. يا ساقيَ العزة؛ اسقِنا.

ويا بشيرَ النصر ؛ هل من مزيدْ..؟

❖ تواق..!

الصِّراع مع المجهُول!

أحداث قصة بطولية حصلت في ملاحم "ريف حلب الجنوبي" فيها من آيات الله الشيء الكثير .. تكاد تكون إلى الخيال أقرب منها إلى الحقيقة، ولولا أني سمعتها (بنفسي) من بطلها لما رويتُها.

عندما تقدم الأعداء بين عشية وضُحاها على "تلة العيس"، توجهت المؤازرات إلى الريف الجنوبي لإيقاف زحفِ الرافضة، وكان من ضمنها سيارة أصحابنا.

أذن لصلاة العصر وأصحابنا في منطقة "كفر حمرة" من ريف حلب الشمالي متوجهين إلى الريف الجنوبي .. أخذوا معهم طعام العشاء وبقية الاستعدادات العسكرية.

وصلوا إلى آخر حاجز للمجاهدين فتجاوزوه ولم يخبرهم الحاجز بأن المنطقة أمامهم عدو .. ظنا منه أنهم سينحرفون إلى اليمين أو الشمال!

تقدم الشباب حتى دخلوا "منطقة العدو" وهم لا يعلمون .. وصلوا إلى بيت سكني يصلح لأن يكون مقرا لهم، فنزلوا من السيارة إلى القبو وبدؤوا بتناول طعام العشاء.

سائق السيارة وشخص آخر ذهبا ليستطلعا المنطقة، وعندما اقتربا من إحدى التلال إذا بشخص "مسلح" ينزل عليهم من فوق التلة، اقترب حتى أصبح على نافذة السيارة!

قال له أصحابنا : وين الشباب ؟ قال لهم : أي شباب ؟ قالوا : جبهة النصرة ! .. عندما قالوا هذه العبارة انتبهوا على وجود نقش في كم البدلة العسكرية مكتوب عليه: "لبيكِ يا زينب"!..

ابتسمَ السائق في وجه الرافضي ابتسامة صفراء تُشعره بأنني أمزح ولستُ جادا ، ثم التفت إلى صاحبه وقال له بصوت خافت "رشه!" ولكن الرافضي كان أسرع منهم

سمعوا صوتَ نزول أمان سلاح الرافضي ليقتلهم .. ولكن صاحبنا كان أذكى من عدو اللّه وأسرع بديهة منه ورافعا لجاهزية المواجهة دائما ، فرفع سلاحه مباشرة وسبقَ الرافضي بعدة طلقات أفرغها فيه!.

ولولا لُطف اللّه ثم "رفع الجاهزية" والاستعداد دائما للمواجهة من أصحابنا لكانوا في عِداد الشهداء .! نزلوا من السيارة وبدأوا يشتبكون وعرفوا أن المنطقة للكفار.

أما المجموعة الأخرى فكانت في المقر لا تعلم شيئا عن الموضوع، بل كانوا يتناولون الطعام بمُنتهى الأريحية (:

عندما شبع الشباب صعد أحدهم إلى الأعلى ليقضي حاجته ، ثم توارى كثيرا عن أعين الشباب تطبيقا للسنة .. ولم يعلم أن المنطقة عدو!

أما الآخر فعندما حضرت الصلاة لم يعجبه القبو فصعد إلى الأعلى ومشى مسافة حتى وجد مكاناً أخشع لإقامة الصلاة فصلى فيه .. ولم يعلم أن المنطقة عدو!

بعضهم رأى مسلَّحين يقتربون منه ، سألوه عن فحم لـ"الأرقيلة=الشيشة" فأثار هذا السؤال استغرابه ولكنه ظنهم من بعض أفراد الجيش الحر الذين ابتلاهم اللّه.

أما "صاحبي" فقد صعد إلى الأعلى، فأتاه شخص فسلّم عليه فرد السلام .. وبعد قليل رأى شخصاً يصرخ من مكان مرتفع على بعد ٥٠ متر تقريبا، ملابسه أشبه بملابس ضباط النصيرية!

تراجع صاحبي إلى الوراء ونزل إلى القبو من أجل أن يلبس جعبته ويكمل استعداده العسكري، فقد أحس بأن ثمة خطراً يقترب .. أراد الصعود إلى الأعلى ولكنه لم يستطع!

صعد عدة درجات وإذا بذلك الضابط قد أصبح أمامه وجها لوجه ! والرجل الذي سلم عليه أصبح على يمينه ! .. ثم ارتفعت أصوات الرافضة آمرين لصاحبي بإنزال السلاح..

فهم صاحبي أنهم أعداء فتراجع قليلا إلى الوراء حتى يتخذ القرار الصائب، ولكن عدو الله لم يمهله فقفز عليه وأمسك "سبطانة البارودة" من أجل ألا يرمي صاحبي منها شيئاً !

في هذه اللحظات تتوتر الأعصاب، ويحارُ العقل، ويجمد التفكير، وتشل الحركة، ولولا إلهام الله لكان صاحبي أسيرا عند الرافضة .. أخذ يفاوض الرافضي قبل تسليمه البارودة وهو يوجه الفوهة إلى الضابط الذي بالميسرة!

لم يعلم العدو الذي بجانبه أن صاحبي يوجه البارودة إلى الضابط بل ظن أنه يفاوضه فعلا .. أطلق صاحبي عدة طلقات مُوفقة على الضابط فأصابته ولله الحمد.

تراجع العدو الذي يمسك بسبطانة بارودة صاحبي مُرتعدا مبهوتا مما حصل فلم يتوقع هذه الجُرأة ؛ فوجه صاحبي البارودة عليه وأفرغ فيه عدة طلقات جندلته صريعا ولله الحمد..

عند اشتداد المحن تأتي المِنح .. صاحبي كان يتوقع الأسر أو القتل وهو "يُصارع المجهول" فألهمه الله وأيده فقتل رافضيا وأصاب الآخر، ثم سلكَ طريق الانسحاب

أصعبُ المعارك المعركة مع "المجهول! " .. الغدر فيها مُتوقع، والخيانة فيها أكيدة، ولا ينجو منها إلا القليل!

انسحب صاحبي ومعه صاحب آخر .. وأثناء عبورهم الطريق كانت طلقات الأعداء تُلاحقهم من كل مكان فلاذوا بأحد المنازل القريبة.

دخلوا المنزل الأول ثم قفزوه منه إلى للمنزل الثاني ثم الثالث وهكذا .. حتى وصلوا إلى منزل مرتفع وحوله مكان مليء بالحجارة يصلح للاختباء فاحتموا بهذه الحجارة.

كان الوقت قُبيل أذان المغرب بقليل، يقول صاحبي : لا نستطيع رفع رؤوسنا من الحجارة لأن "تلة العيس" فوق رؤوسنا والطلقات ستنهال علينا منها!

كان الوقت يمر مرورا بطيئا قاتلا .. يُصوِّر صاحبي دقائق الموت التي كانت تمر عليهم بأنهم كانوا ينتظرون "بنادق الرافضة" تُطل من فوق رؤوسهم وتحصدهم!

أصعب اللحظات انتظار الموت البطيء أو الأسر المرير .. يتمنى الإنسان حينها أن يُقتل عدة قتلات، يتمنى لو أن معه "حزاماً ناسفاً" ليفجره على الرافضة ولا يقع أسيراً عندهم.

أظلمت الدنيا واقترب وقت صلاة العشاء وأصوات الاشتباكات مستمرة، هنا قرر صاحبي أن ينسل من الظلام كما تنسل الشعرة من العجين .. خرج من مكانه تائها لا يلوي على شيء!

نظرَ في الاتجاهات فزادت حيرته، لا يعلم من أي طريق يذهب، لربما ذهب من طريق يوصله للرافضة ! استعان بربه وسلك أحد الاتجاهات .. مشى ولكن المصائب لا تنتهي!

بدأت الحجارة تُقرّح قدم صاحبي، نظر وإذا به قد نسي "الحذاء العسكري" في المقر، مشى مسافة قليلة وإذ به يسمع صوتا مرعبا لـ"مجنزرة" قادمة إليهم!..

تجمّد الدمُ في عروقهم أمام هذا المشهد .. الدبابة تقترب وتقترب .. حتى إذا أصبحت على مقربة منهم وبلغت الروح الحناجر أعمى الله أبصار الأعداء فولوا الدبر!..

مشوا مسافة أخرى وإذا برافضي على مقربة منهم معه "ضوء خفيف" يستكشف فيه المنطقة ، وقف الصحاب في مكانهم واجمين حتى استأمن الرافضي فرجع إلى الوراء وأكمل الصّحاب الطريق..

وصلوا إلى مزرعة فدخلوها فإذا بطلقات كثيفة تأتي من وراء ظهورهم، احتموا بشجر "السرو" عدة دقائق حتى هدأ الضرب فأكملوا طريقهم، ولا يعلمون ماذا ينتظرهم.

في البداية كانوا يحتمون من الطلقات بالقعود أو التخفي، ولكنهم بعد هذه المخاوف والصعاب أصبحت الطلقات تأتيهم من كل مكان ولا يُحركون ساكنا، ينتظرون الموت البطيء!

وصلوا إلى منطقة يُشعل فيها ضوء السيارات ويُطفأ، فبلغت بهم الحيرة مبلغها : هل هم إخوة أم رافضة ؟ ثم استعانوا بربهم وتقدموا عليهم ينتظرون موتهم أو حياتهم!

اقتربوا أكثر، ورفعوا أهبة الاستعداد، لاحتمالية الاشتباك المباشر .. صرخوا بهم: من أنتم ؟ وبعد سؤال وجواب تبيّن أنهم من "الإخوة" فسارعوا إليهم بالسلام والعِناق.

بعد "شد أعصاب" مستمر، وانتظار الموت البطيء، ضخت دماء الحياة عُروقها من جديد فانتعشتَ الأجساد الكليلة المتعبة .. وبحثوا عن أقرب مكان للارتياح.

أخبروا "الإخوة" بما حصل معهم، وأنهم فقدوا أربعة من الرفاق، اثنان منهم فقدوهما في البداية عندما ذهبا ليستطلعا المنطقة، واثنان فقدوهما أثناء الانسحاب..

نسبة الأمل بحياة الرفاق كانت ضئيلة جدا إذ أنهم تركوهم في "معمعة الجيش" فنجاتهم أشبه بالمحال؛ لذا فقد سألوا اللّه لهم القبول في الجنة واللحاق بهم.

حاولوا الاتصال بـ "هاتف" أحدهم فإذا هو مقفل، استمروا في المحاولة حتى الصباح ولم يكن ثمة بشير يُسعد القلوبَ الحزينة .. ثم غلّبوا خبر مقتل الرفاق أو أسرهم.

وبعد بزوغ ضوء الفجر وإشراقة شمسِ الصباح التي تحمِلُ في طياتها كل البشائر، أعادوا الاتصال بالرقم وإذا بصاحب الرقم يرد، وإذا به صوت الصديق نفسه : هل أنت فلان ؟

أجابهم: "نعم أنا فلان .. ونبشركم أننا بخير أنجانا اللّه كلنا إلا اثنين منا نسأل اللّه أن يتقبلهم من الشهداء!" .. فرح الشباب لنجاة أصحابهم وحزنوا لفقد البقية .. ولكن سُرعان ما عمت الفرحة على الجميع!

سألهم المتحدث على الهاتف : من الاثنان اللذان استشهدا ؟ قال : "فلان وفلان !" وهما اللذان في الغرفة عند الشباب .. سادت لحظة صمت بعدها ارتجت الغرفة بالتكبير!

لم تكن فرحة فحسب؛ بل كانت "عيدا" من أجمل الأعياد .. اقشعرت الأجساد عند سماعِ الخبر، ودمعت العُيون، وعادت دماء الحياة تضخ في العروق بقوة .. وارتسمت البسماتُ على الشفاه!.

جمع اللّه الصِّحاب إلى بعضهم سالمين .. والتقت السرية مع بعضها، واكتملت الفرحة .. وبدأوا يتذاكرون الأحداث التي مروا بها وكيفَ أنجاهُم اللّه منها بأعجُوبة.

أخبرهم أول اثنين ذهبا للاستطلاع أنهما عندما عرفا أن المنطقة للكفار عادا إلى الوراء .. هناك اجتمعا بالاثنين اللذين بقيا في المقر وبدءا يشتبكان مع الكفار.

وهُنا ظهرت آيات اللّه .. فقد سدّد اللّه رميَ الشباب وربطَ على قلوبهم، فلم يكونوا يبحثوا عن طريق الانسحاب فقط بل كانوا يحاولون الإثخان في الأعداء!

كانوا يشتبكون مع أحد الأعداء اشتباكا "ساخنا" وفجأة سقطت بارودة العدو .. سددّ اللّه رمي الشباب فأصابت طلقتهم يد العدو!

ومرة أرادَ أحدهم دخول أحد المنازل فسمع صوت "خربشة" داخل المنزل، تراجع إلى الوراء قليلا فخرج صاحب الصوت وإذا به عدو، وبفضل اللّه لم ينتبه لصاحبنا

وفي طريقِ الانسحاب رأوا مجموعة من الأعداء في مكانٍ واحد، تسلل إليهم أحد الشباب وفتح عليهم صاعق "القنبلة" وألقاها في وسطهم، ثم سمعوا صوتَ صُراخ الأعداء ونشيجهم!

مشهد لا يتصوره العقل ! أن يُحيط بك الأعداء من كل جانب وتكون نسبة النجاة قليلة، ومع ذلك تتعامل مع العدو من مبدأ القوة كما لو كنتَ أنت المهاجم فتُوقِع الرعب في قلبه لتنسحب بأمان!..

ومن المشاهد كذلك، كان الشباب يشتبكون مع الأعداء اشتباكا قويا، وفجأة هدأ الرمي من جهة الكفار وتحول إلى مكان آخر لم يكن به أحد من الشباب، وهنا وقعت الحَيرة!

تُرى ما الذي حوّل رمي الكفار إلى الجهة الأخرى؟ رُبما كانوا "ملائكة" من السماء أنزلهم اللّه ليثبّتوا الشباب، واللّه على كل شيء قدير!

أنجى اللّه الشباب كلهم ولم يُقتل منهم أحد ولم يُصب منهم أحد بأذى ؛ أما أعداء اللّه فقد تأكد الشباب أنهم قتلوا وأصابوا منهم ما لا يقل عن ١٥ رافضياً !..

وفي ملاحمِ "الريف الجنوبي" بلاغٌ لشباب الإسلام: أن من كان اللّه معه فمن يخذله؟ ومن خذله اللّه فمن الذي ينصره ؟ فانزعوا الخوفَ من قلوبكم ..

في هذه الأحداث التي تجلّت فيها "معية اللّه"، بلاغٌ لشباب العقيدة : أن انفروا إلى ساحات الوغى فيوم موتكم عند ربي في كتاب لن تُقدمه ساحات النزال.

  

بوح:

" للحظة ؛ أتخيل لو أن قلوبنا سليمة كـــ ســلامة المطـــر .. لـــو أن أعمالنا طــاهرة كـــــطهر المطـــر .. لـــو أن أبصـــارنا نقيـــة كنقـــاء المطر.

أتخيل لـــو أن أمتنـــا متلاحمـــة كـــ تلاحـــم صـــبية همـــس بهـــم المطر فهبوا مســـرعين ، متلاحمـــين، متراشـــقين تحـــت زخاتـــه! يا للنعيم!

❖ تواق..!

قصة المجاهدين مع الثلج الشامي

سَحرٌ بارد ساكن تزينه مناديف الثلج المتناثرة، وأعواد الحطب تدفئ الأطراف المتيبسة .. والصحاب بين راكعٍ وساجدٍ للّه يرجون رحمة ربهم.

عندما اقترب وقت أذان الفجر خرجنا لنصلي الصبح في المسجد فإذا بالثلوج قد غطت الطرقات، حاولنا تحريك السيارة فلم تحرك، فعدنا إلى المقر ، أخرجت المفتاح لأفتح الباب ولكنه سقط بين الثلج، اجتهدت فأدخلت يدي لأبحث عنه فلم أشعر إلا وقد فقدت الإحساس بيدي أخرجتها فإذا هي قطعة ثلج :)

مشهد الثلج الجميل لأول مرة نراه في حياتنا، جمعت كرة ثلجية فرميتها على صاحبي "أبو أوس" ثم هربت فأصبحنا نتلاحق.. وكأننا نعيشُ في حلم وردي!

لحظاتٌ وتجمدت أطرافنا ثم طرقنا باب المقر فدخلنا .. بحث صاحبي عن هاتفه المحمول فلم يجده، فرجعنا نبحث عنه بين الثلج حتى وجدناه بحمد اللّه..

ذهبنا للمطبخ فوضعنا إبريق الماء على النار لنصنع الشاي للإخوة، وهنا بشرني صديقي "أبو أوس" ببشرى جميلة ففرحت له فرحا كبيرا..

صلينا الفجر مع الإمام وبعد الصلاة تكلم فأجاد عن شكر النعمة وكيف أننا في بيت يحمينا من البرد؛ فكم مَن لا بيت له ولا مأوى!

بعد أذكار الصلاة خرج الأصحاب إلى الفناء لشرب الشاي، فتفاجؤوا بأن الأرض استحالت "ساحة تزلج" فكل أمسك بيد صاحبه لئلا يسقط والثلج يتساقط بغزارة

في هذه الأثناء سبقت الصحاب فالتقطت لقطة ثلجية لهم ولساحة التزلج التي تنتظرهم..

نزل الإخوة إلى الساحة بسلام فلما انتصفوها ابتعد عنهم أحد الإخوة وصنع (كرة ثلجية) فقصف الشباب بها خلسة فتبعثروا .. وهنا نشبت معركة الثلج!

تفرّق الجمع وكلٌّ أصبح يصنع قذائف ثلجية ثم يقصف الآخر بها..

فجأة تنحدر كرة ثلجية فتدخل بين رجلي أحد الشباب "كُبري" بدون أية إصابات بحمد الله..

أتاني رميٌ كثيف، اكتشفت موقع الرمي فبادلته بتكثيف نيران الثلج حتى يستسلم..

وفي هذه الأثناء أصابتني قنبلة ثلجية على وجهي من محور آخر فسقطت أرضًا

القنبلة الغادرة أتت من جهة اليمين .. تتبعها ضحكات "أبو بكر الحموي" ثم هروبه، شمرت عن أكمامي ولحقته فغصت بين الجليد وهو يراني ويضحك!

" أبو أوس" يرمي قذيفة على "أبي عبدالله " ثم يضحك ويقول : والله لو نفدت ذخيرة الرصاص لنقاتلنّ الكفار ولو بمكعبات الثلج!

يخرج "أبو عبدالله " بعد تسديد قذيفة ثلجية على "أبي محمود الحموي" وهو يقول: والله لو يعلم السلاطين ما نحن فيه من سعادة لحسدونا عليها!

بعد انتهاء المعركة الثلجية وتسديد الضربات النوعية والقذائف الجوية كان "أبو المثنى" قد انتهى من إعداد الشاي للصحاب فاجتمعوا على طاولة واحدة والسعادة تغمرهم..

مع احتساء أكواب الشاي الدافئة تتقد الأشواق، فيتذكر "أبو عمر الحموي" أهله الذين لم يرهم من سنتين، فيبوح للصحاب : لم يبقَ من فرحتي إلا وجود أهلي.

بعد أن تدفأنا قليلًا خرجت إلى الطريق لألتقط بعض اللقطات التي لا تفوّت .. وهنا السيارات تغطيها الثلوج ... تقدمت قليلا فرأيت مشهدا بديعا

رأيت أن كل ما أمامي قد استحال ثلجاً أبيضَ كرِمال نجد حينما تغطي التلال .. سبحان الخالق...

حين التقاطي للصور وكل ما حولي يعمه السكون .. باغتتني مجموعة غادرة، انقض عليّ عناصرها ورشقوني بالقذائف من كل مكان ! ثم تبينت أنهم من الأصحاب وأنهم أرادوا أن يصبّحوا عليّ بطريقتهم الثلجية، فاشترطت قبول عذرهم بصورة تجمعهم فأذنوا..

بعد أن هدأ القصف الثلجي لم تزل البرودة متغلغلة في عروقي، بحثت عن مصدرها فوجدت أن هناك بقايا ثلجية داخل المعطف من جرّاء القصف الشديد!

هنا أتت سيارة سوداء لصاحبنا "أبي ناصر" فتخبأنا خلفَ السواتر وعندما اقترب صبّحناه بالصواريخ الثلجية!

ركبت مع أبي ناصر ومررنا بالشيخين (المعتصم بالله، .....) نتجوّل في الثلج...

أصبحت السيارة تتأرجح يمينا ويسارا وكأننا في (ساحة تزلج) وكدنا نصطدم، ثم هدأ أبو ناصر سرعة المحرك واعتدل التوازن..

صعدنا على مرتفع فرأينا جبال الثلج .. نزل (وضّاح القصيمي) وضاح وطئ ثلجا متجمدا فسقط وأصبحت رجلاه للأعلى ورأسهُ للأسفل في منظر مضحك:)

مررنا على سوق المنطقة فوجدنا مجموعة من إخواننا المهاجرين منهم صاحبنا "أبو عبدالله " يلاعبون أطفال الأنصار بالثلج وكأنهم أسرة واحدة في مشهد مؤثر.

أثناء مزاح المهاجرين مع أطفال الأنصار كان هناك نشيدٌ جهادي في سماعات كبيرة يملأ أرجاء السوق أُنسًا وسعادة ويضفي على اللعب رحمة المجاهدين بالمؤمنين..

مررنا بجانب مخيمات اللاجئين فرأيتُ مشهدًا يقطع نياط القلب، درجة الحرارة تحت الصفر وغطاء الخيام رقيق لا يرد البرد والثلج القادم من كل مكان!

في هذه اللحظات الجميلة أتذكر أصدقائي الشهداء الذي ضخوا العطرَ داخل الحنايا ثم رحلوا .. أشتاق إليهم وأسأل الله أن يعجل بلقائهم.

  

بوح:

" أقل ما تقدمـه لإخوانـك أن ترفـع أكـفّ الضـراعة إلـى السـماء وتمطـرهم بالـدعاء؛ لتتنـزل دعواتـك بـردا وسـلاما علـى المستضـعفين، ونـاراً وسـجيلاً علـى الظـالمين!

ولـئن كـان لهـم طـائراتٌ ومـدفعيات..

فلنا في هجعة الليل القنوت. "

❖ تواق..!

قصة اقتحام أحد مجاهدي الشام

زرتُ اليوم أسدًا من آساد المجاهدين عركته الحُروب حتى زينت جبينه شامة الجهاد وأشرقَ وجهه بالإيمان واستضاء قلبه بتطبيق آيات القرآن!

صاحبي "أبو فارس الأنصاري" ذو الجبين الناصع ؛ لم يزل جرحه يثعب من إصابته..

فرحاً لتقديمه شيئا في سبيل الله ولكأنما أهديت له عروسُ حسناء!

استقبلني بيد واحدة .. سألته عن إصابته فأخبرني أنها طلقة متفجرة أصابت يده فتفجرت داخلها!

سرى إليّ شعورٌ بالسكينة والراحة وأنا أحادثه وشعرت أني أُجالس عظيمًا لا يعرفه إلا الله .. فتلهفت لحديثه وقلتُ له : بربك حدثني بقصة إصابتك..

يحكي أبو فارس فيقول:

"قبل أسبوع كانت الأجواء باردة جدا تجمّد فيها كل شيء ؛ وكنا مرابطين على ثغر من ثغور صدّ تقدم العدو، انتهت ساعة رباطي فرجعت أستريح .. عندما عدت إلى نقطة الراحة أتانا استنفار عاجل عن تقدّم العدو أكثر؛ فتوشحت جعبتي وحملتُ سلاحي من جديد وخرجت أُقاسي البرد والقصف!

العدو يقصف بكل أنواع الأسلحة بشكل همجي جنوني من كل الجهات كي يمهّد للاقتحام، مشيت بين نيران القذائف وأطرافي متيبسة من البرد!

وقفتُ موقفًا صعبا لم تحملني قدمايَ منه؛ فالبرد جمّد أطرافي والقذائف زلزلت قلبي فترددت في الإكمال أو الرجوع!

وأنا في ذلك الموقف العصيب، تذكرت الجنة ونعيمها وما أعده الله للصابرين والذين يتقدمون ولا يلتفتون في الصف فتشهدت وأكملت طريق المخاوف والأخطار!

تقدمت وأنا أشعر أن ربي سيرضى عني إن ثبت وأقدمت، فما زلت في تقدم والقذائف تسقط سقوط المطر من كل مكان حتى اقتربت من مكان رباطي السابق .. كان هناك فتحة في الجدار ندخل منها ثم نرابط بعدها، اقتربت من الفتحة ثم دخلت؛ فتفاجأت بعساكر الطاغوت أمامي!..

لم أعرف أن العدو تقدم إلى مكان الرباط، عندما خرجت عليهم وجدت ١٠ عناصر من حزب اللات وجيش الطاغوت مدججين بالسلاح، فلما رأوني ارتعبوا عندما باغتّهم ارتعبوا ولكأنهم رأوا "ملك الموت" أتى ليقبض أرواحهم من شدة الرعب، ثم حملوا أسلحتهم وهربوا وأنا واحد فقط ولكن معيّة ربي معي!..

في هذه المحنة أتاني الشيطان مرة أخرى فهممت بالهروب، ثم تذكرت كبيرة الفرار من الزحف وبيعتي لربي فوجهت عليهم السلاح وبدأت أطلق عليهم!

أصابت طلقة من طلقاتي ظهرَ أحدهم فسقط على الأرض وهرب البقية، وفي هذه الأثناء أتاني رش كثيف فأصابتني طلقة متفجرة ثم سقطت على الأرض والدم ينزفه الدم يسيل وأنا ممدد على الأرض، ثم رأيت "قنبلة" سقطت بجانبي فقلت : هذه قنبلة الجنة!

فتدحرجت ولم تنفجر حتى ابتعدت قليلا ثم انفجرت ولم تصبني!

حملت نفسي ثم عدت إلى نقطة "الطبية" وأسعفني الإخوة بحمد الله ثم تقدموا وأثخنوا بالعدو؛ فكان القتلى قرابة العشرين، حتى إن المجاهدين أصبحوا يمشون على جثثهم!

أحد أصحابي كان يقول : أنا مشتاق لربي.. فلما أتت المعركة كان من أصحاب الصف الأول، استبسل أيما استبسال وأثخن في المرتدين ثم أصابته طلقة في بطنه

سقط مضرّجا بدمائه، ثم تذكر أن إخوانه يصدون العدو وأخواته يغتصبن فقام وأكمل الضرب، والدم ينزف من بطنه وهو صابر!..

ضربه الأوغاد بقذيفة RBG حشوة أفراد فطارت يده وانشق بطنه فسال دمه الطاهر على الأرض وارتقت روحه الطاهرة لتعيد للأمة مجد شبابها.

إن مما يسيل الدمع أنهم وجدوا يد صاحبي في مكان آخر وأصبع السبابة مرتفعة بالشهادة، واليد منزوعة عن الجسد.. سجّل يا تاريخ!

وفي ختام قصتي أوصي من تصل إليه بألا يحزن لأحوال الشام ومآسيها .. لماذا يحزن الناس ونحن سننال إحدى الحسنين؛ فإما نصرٌ وإما شهادة

وأيضا أوصيهم بالإكثار من الدعاء لنا، فنحن في كرب لا يعلمه إلا الله والعدو الغاشم يقصفنا ليلَ نهار فلن ينجينا إلا الدعاء الصادق والعمل .. فالدعاء الدعاء!

عانقت صديقي "أبو فارس" ثم خرجت من عنده والعبارات تخونني مما سمعت، ثم أخذت عهدا أن أنقل قصته وأكتبها ليحفظ التاريخ سير هؤلاء الأبطال..

  

بوح:

عارٌ واللَّه أن تـــرى أمتـــك تجتـــث مـــن جـــذورها وتعـــيش تـــاريخ الانحطاط، ثم أنت أنت!

غارقـــا فـــي جزئياتـــك المباحـــة وربمـــا المحرمـــة ويكأنه قلبٌ قُدَّ من الحجر!

❖ تواق..!

حمـزة .. رجلٌ بأمـة !

على ثرى الشام المباركة ، وفي مدينة حلب الشهباء .. وقف رجل على شرفة المنزل يتأمل غُروب شمس يومٍ حزين . بدأت الشعرات البيضاء تتسلل إلى رأس الرجل ولمّا يتحقق حُلمه "الوردي" بعد..

غاب قرص الشمس فمسح دمعات تحدّرت على خده . قرأ مرة في [السيرة النبوية] أن: حمزة بن عبدالمطلب ضرب أبا جهل .. فأكبرَ الموقف، وعاهد الله لئن زرقه بولد ليسمينّه حمزة

مرت الأيام ثقيلة على الرجل وزوجته ؛ فها هي السنة الـ١٢ تبتدئ ولم تتكحّل أعينهم بمولود يملأ فراغ حياتهما .. استمرا بالصبر والدعاء ولم يقنطا.

في صبيحة يوم مشرق من سنة [١٤١٣هـ]، أحست الزوجة بجنين يلعب بين أحشائها؛ فبشرت الزوج المكلوم فلم تحمله الأرض من الفرحة وصدق ظنه بربه .. أطل الجنين على الحياة فسماه والده [حمزة] كما عاهد الله .. تفتقت عروق حمزة على الطاعة وترعرع في بيت يحفه الوئام وترفرف عليه طُيور السلام.

كبُر حمزة واشتدّ عُوده فظهرت آثار النباهة والنجابة عليه وأثنى على ذكائه وأخلاقه القريب والبعيد .. وكبر في أعين والديه وأحباه حباً جما

حمزة .. شاب وضيء ، عمره ٢١ ربيعا ، آتاه الله سلامة قلب وحُسن معشر.. من جالسه أحبه لطيبته .. صموتٌ وقور ، هين لين ، يألف ويُؤلف.. دائم البسمة حمزة .. جميلٌ كالورد ، ريّان الشباب .. طويل القامة بهيّ الطلعة ، أبيض كالثلج .. حباهُ الله جمالًا ملائكيا .. أثر الطاعة ظاهرٌ على مُحيّاه، .. وجهه يشعّ إيمانا وجبينه

يسطع نورا .. ذو شعر طويل أشقر ناعم وعينين زرقاوين .. من رآه ظنه مهاجراً شيشانياً !

مرت الأيام .. فشاهد حمزة غدر اللئام ، شاهد الطغاة يغتصبون الأرض والعرض .. شاهدهم يسفكون الدماء وينثرون الأشلاء فلم يتحمل الضّيم..

كتب الله لسوق الجهاد أن تحيا في الأرض المباركة؛ فكان من أوائل المنضمين لساحات الوغى المنتفضين في وجوه العِدا .. ناصرا لدين الله

لحمزة أخ في [إيطاليا] منذ سنين، قد أنعم الله عليه بالمال الوفير ورغد العيش وهو بحاجة إلى من يسانده .. فعرض على حمزة أن يرافقه... ظن حمزة سيوافق، فزيارة إيطاليا أمنية آلاف الشباب .. ولكن حمزة لم يكن كالشباب .. كان مستقلا بنفسه وطموحاته وآماله وآلامه .

حمزة اكتوى قلبه بنار القهر، يرى مجازر الدماء وصمت العالم المخزي فيطيش عقله ويقسم على الثأر للمستضعفين وهجر الترف والنعيم .. حمزة ذاب قلبه شوقا لرؤية الله ونعيم الجنة .. وتكسّرت لذائذ الدنيا أمام عينيه أمام مشاهد السحل والقتل ؛ فرفض اقتراح أخيه رفضا قاطعاً.... حاول أخوه أن يثنيه عن قراره وأخذ يعرض عليه محاسن تلك الديار وأن مستقبله هناك لعل قلبه يلين، فكان يرفض ويقول : مستقبلي هنا وليسَ هُناك ! أضحت ألوان الدنيا رمادية في عين حمزة ، كل الألوان الجميلة في جنة الأفراح .. حيث الخلود الأبدي والنعيم السرمدي .. فشغف قلبه بتلك الدار

الله أكبر..

حمزة ثابتٌ كالطود رغم المغريات والفتن .. مرة أخرى ؛ حاول أخوه أن يقنعه بالهجرة إلى إيطاليا ولو بعد سقوط بشار فكان جواب حمزة هذه المرة كصاعقة

ضربت أوتار القلب الغافل، قال له : لا يا أُخيّ.. الطريق ما زال طويلا؛ فإن انتهينا من بشار سنتجه إلى القدس!..

أُسقِط في يد الأخ، وعلم أن قلب حمزة نقي لم تخالطه الأدناس ولم تَشُبْهُ لوثة (العصْرَنة) .. فرحل، وظل حمزة في أرض الملاحم مراغما لأعداء الله .

حمزة أوجع قلبَه حالُ أمته وتخلف شبابها عن ميادين النخوة والعزة .. فكان شهمًا مع المجاهدين ملازمًا للجبهات ما بين رباط وانغماسات .

دخل مع إحدى الكتائب فرآهم يدخنون ويقصرون في الصلاة ؛ فنهاهم مرارًا .. وكان يقول لهم : كيف سننتصر ونحن نعصي الله ؟ ثم لما لم يستجيبوا هجرهم شاهد المهاجرين يتدفقون من كل أقطار المعمورة نصرة لدين الله ، هجروا الأوطان والأهل والخلان .. فأُعجب بهم وتمنى القرب منهم .

ذاتَ مساء صليت في أحد مساجد حلب، وبعد الصلاة انفضت الجموع إلا شاب ينتظرني وعليه آثار الحياء .. اقتربت منه فصافحته فدخل قلبي ودخلتُ قلبه!

كان معي صديق الدراسة والنفير "أبو البراء المدني" وقد كان يحب الجلوس مع الأنصار، فجلس مع حمزة فأعجب بهدوئه وسلامة فطرته وفكره .. أحب حمزة أبا البراء، وحينما انتهى اللقاء خرج فقال لرفيقه : والله جلست مع شيخ طيب وحبّاب.. ما رأيت أحسن منه في حياتي كلها ..!

أتى يوما لحضور اللقاء الأسبوعي في المسجد بين [المهاجرين والأنصار] فنظر إلى المهاجرين ثم همس في أذني : هؤلاء أريد أن ألتحق بهم .. مرت شهور وأيام وأنا ألتقي بحمزة في بيت الله، ألفيته محافظا على الصلوات الخمس، وحتى مع اشتداد البرد أراه يأتي إلى صلاة الصبح متلثما..

صاحبي "أبو البراء المدني" ذو صوت شجي، فخصّص حلقة قرآن في المسجد بين العشائين .. فكان أول الطلبة حضورا حمزة، وكأنه كان ينتظرها منذ زمن.

راحة القرآن وسكينته إذا غمرت الأرواح المتعبة هدأت واستكانت ؛ لذا كان حمزة حريصا على جلسة القرآن ؛ لأنها دواء قلبه وغذاء رُوحه ..

أتى "أبو البراء" يوما بأوراق فيها أحكام التجويد فأعطاها حمزة ليقرأها ويستفيد منها .. لا زلت وكأني أراهم كالبلابل يشدون ويترنمون بآي القرآن

ألح علينا حمزة أن نزوره في منزله لنتعارف أكثر فوعدناه وقبل ميعادنا أتى نبأ استشهاد خدين الروح "أبو البراء" الذي تاقت نفسه للشهادة زمنا طويلا فرحت لاصطفاء الله لصاحبي وحزنت على ذنوبي التي أخرتني عن اللحاق بالصحاب ، ثم قلت في نفسي : وعدنا حمزة أننا سنزوره فلا بد أن أفي بالوعد ..

ذهبت الأيام .. أتاني حمزة ذات مساء يشاورني في إكمال "القتال" أم سلوك طريق "طلب العلم" فقلت له: المقاتلون اليوم كثير ولكنّ أصحاب الالتزام بالحق قليل!!

قرّر حمزة أن يأخذ "استراحة محارب" ينهل فيها من معين العلم الشرعي ثم يكمل طريقه بوضوح وثبات .. فكان أن التحق بالمعهد الشرعي .

أتى حمزة بعزيمة متوقدة وذهن متفتح فكنتُ ألحظ مخايل النجابة عليه فأرمقه بإعجاب .. وأرى أن الله سيهدى له مستقبلا مشرقا حيث انه حفظ متن: الأصول الثلاثة، والقواعد الأربع، وشروط الصلاة..، عن ظهر قلب مع إتقان مسائلها ، قلت: إن ثبت سيكون منارة علم بإذن الله

أثناء الشرح كان لا يفوّت كلمة إلا سجلها في دفتره، ويتفقد من حوله من الصحاب فيحرّصهم على الكتابة .. لا يرضى لهم أقل من طموحه الوقاد

عدد طلاب المعهد ٢٢ طالباً، في الاختبار الأول والثاني حقق منهم الدرجة كاملة ١٣ طالبا والبقية قريبٌ منها.. كوكبة متميزة لم أُصادف مثلها في حياتي

حمزة كان أميز المميزين؛ فقد كانت إجاباته كاملة وافية تبلّ القلب وتشرح الصدر؛ لذا استحقّ [المركز الأول] بجدارة فكرمته أمام الجموع فخورًا به..

كان إذا تعلم المسألة عاد إلى البيت فعلمها الأطفال .. فإذا انتهى الدرس علمهم الفاتحة وقصار السور .. ثم أخذهم إلى المسجد

ذات يوم أرسل حمزة هدية مغلفة، فتحتها فإذا هي دفاتر وأقلام فاخرة لم أرَ في الشام مثلها.. ثم قال: فكرت؛ فلم أر أحق بها من طلبة العلم المجاهدين

حمزة هيّن ليّن .. حين انتهى المعهد التأهيلي خيرته بين معسكر التدريب أو المعهد المغلق؟ فابتسم بحياء ثم قال لي : اللي بدك إياه أنا راضي فيه.

قلبه الرحُوم يحن على الأطفال.. مرة اشتهى "فروج مشوي" فاشتراه، وعندما أتى به إلى المنزل اجتمع حوله الصغار فأخذ يطعمهم ولم يأكل.. فيا للإيثار!

رشَّحْتُ حمزةَ لـ"المعهد المغلق" لتميزه ؛ فدخله بعزيمة مضاعفة ، قرنها بصمت دائم وأخلاق هادئة .. فكان محل ثناء الرفاق والمعلمين . كان غالب وقته منهمكا في دروس العلم، فإذا انتهى غسل أواني المطبخ، ثم يقضى بقية وقته بين صفحات القرآن..

قائمٌ في الليل عاملٌ بالنهار كان هذا دأبه في المعهد "متعلما، خادما، قارئا" حتى ابتدأت الفتنة فتوقف المعهد ؛ فأتاني يطلب كتاباً يقرؤه فأعطيته [معالم في الطريق] لسيّد قطب طلب مني أيضا [متون طالب العلم] المستوى الأول والثاني

ليكمل حفظ "الأربعين النووية ، وكتاب التوحيد" فأعطيته الأول ووعدته بالثاني غدا ..

مساء هذه الأيام معلن به "حظر التجول" ولكنه كان حريصًا على أداء الصلوات في المسجد ، مع تمنع والديه .. ولكأن لذة المسجد خالطت بشاشة قلبه.

حين ابتدأت الفتنة كان يخشى من الدماء ، فكان يحذر أصحابه كثيرا من حرمة الدم المسلم ، وأن الواجب سد ثغور النصيرية أو الاعتزال في البيوت والمقرات

قام من نومه صبيحة الثلاثاء ٤ / ٤ / ١٤٣٥ هـ فتذكر أن المسجد معتمٌ مساءً فقرر أن يشتري له [شُموعا] لعلّ اللّه أن ينيرَ قلبه وقبره بإنارته لبيته

أتت أمه فجلست مقابله ثم فاتحته بموضوع حساس .. أخذت تقنعه بالبحث عن "فتاة أحلامه" فشعره الأشقر ووسامته تتمناها آلاف الفتيات لكن حمزة كانت عيونه متطلعة إلى السّماء ؛ فأخذ يقول لأمه : ليس الآن يا أمي .. وكأنه شعر أن فتيات أحلامه هُنّ حور الجنان .. وقد اقترب اللقاء!

كان قد اشترى بدلة [قندهارية] ليتزيا بزيّ المجاهدين ، وعندما سلك طريق العلم وضعها على الرف ولم يلبسها حتى يعود إلى ساحات الوغى مرة أخرى.

قبل أن يخرج لصلاة الظهر وشراء الشموع .. لبس البدلة [القندهارية] لأول مرة ولم تكن هناك ثمة معركة .. ولكن دقات قلبه أحست بأمر ما!..

صلى الظهر ، وسلم على رفاقه ، ثم ذهب ليشتري الشموع ، فتذكر أطفاله فاشترى لهم حلوى وأتى لهم بها..

كان يحب إدخال السرور على من حوله أكل الأطفال الحلوى وفرحوا وكأنه يوم عيد .. كان ينظر إليهم برحمة وهم يأكلون فيراهم كأجمل لوحة فنان رسمها بريشة الفرح وحبّرها بمداد المحبة.

اقترب وقت صلاة العصر .. فطلبت منه أمه أن يأتيها بعد الصلاة عند خالته ليأخذها ؛ فودعها ومضى إلى المسجد حاملًا الشمعات بجيبه . كنتُ لحظتها في المسجد مع أطفال القرآن ففجأة سقط [برميل] بجانبنا وتناثر علينا الزجاج من كل مكان..

وضعت يدي على قلبي خوفا على الصغار ظننت الصغار سيفزعون، ولكني فوجئت بضحكاتهم المدوية ! ثم أخذوا ينشدون : هذا برميل رقم [٣٣] وما بتخوفنا يا بشار .. طرق الباب "أبو النور" -أحد طلاب المعهد- فبشرني بأنه لم يصب أحد فحمدت الله ثم حرضته على الرباط مع [حمزة] والشباب .. فالجبهات فارغة وباكية بعدما نطقت باسم حمزة طُرِق باب الغرفة بقوة مفزعة فدخل "أبو أديب" مفجوعًا ليقول : صديقنا حمزة، طارت شظية على قلبه من البرميل فاستشهد ! صُعِقت من الخبر

وظللت عدة مرات أكرر عليه الاسم لعله يغيره ، فلما تيقنت أنه هو صاحبي عقدت الصدمة لساني وأشحت بوجهي لئلا يروا دموعي الحرّى .. لم أشتف من لقاء حمزة بعد، وبدأت معه الطريق وبنيتُ معه الآمال .. فلما تمكن من قلبي رحل خلسة، وطار إلى السماء بصمت؛ كما دخل قلبي بصمت !

يا الله .. بكيت على حمزة حتى تخضّب خدي من الدموع .. بكيت على القلب الطاهر كطهارة المزن، بكيت بُكاء الفرح لاصطفاء الله له حمزة طارت رُوحه إلى [حواصل طير خضر] بإذن الله تسرح في الجنة .. بعيدًا عن الضجيج

طار بصمت وهُدوء كما كان يحب الصمت .. يا رب اجعله كذلك

من الزاوية الأخرى ؛ حمزة كان مجندلاً بدمائه بجانب والده .. نزف بصمت حتى سكن، ثعبت دماؤه الزكية فروّت الأرض المباركة ؛ لتبسُق رياحين النصر!

وقد صدق إحساس حمزة .. في الصباح تمنع من نساء الدنيا ، ولعله في المساء أمهر نساءه في الجنة من دمه؛ فهو يعانق الحور العين بإذن الله..

يا رب نولّه مناله.

بكى والده حتى اخضلّت شعرات لحيته البيضاء .. ثم أدخل يده في جيب حمزة فوجد [الشموع] وفي جيبه الآخر [متون طالب العلم] .. وقد تقاطر عليها دمه قبض والده على يده وقال : حمزة حبيبي إذا تسمعني شد على يدي ؛ فارتخت يد حمزة .. فبكى والده، وحمل الشموع ثم قال : والله لأوصلنها لك يا بُنيّ..

قطرات الدم الزكية انسكبت على الشموع والمتون ؛ لتنير لشباب الأمة الطموح طريقه وتسطر لهم قصة مسربلة بدم الهداية والجهاد!

في العزاء .. رأيت الصغار الذين كان يعلمهم القرآن ويأخذهم إلى المسجد وعلى وجوههم مسحة حزن لفراق حبيبهم ومعلمهم .. رأيت على عيون الأطفال بريقا لامعا .. بريقا يبشر "حمزة" أن قلوبهم الصغيرة التي سقاها من دمعه وبذل لها مهجته ودمه ستنتفض لتكمل طريق العزة .

أتى والده بكتبه .. حمزة لم يترك خلفه دفاتر حب وغرام ؛ بل ترك دفاتر علم وقرآن .. ووجدت قرآنه الأحمر ودفتره الأزرق، وكتيبات التوبة والجهاد . قلّبت في أوراقه ؛ فوجدت أوراق "التجويد" التي أعطاها أبو البراء لحمزة .. فأحسست بلوعة فكتبت بمدادها على صفحة الورق :[شهيد أعطاها شهيد]

وجدت قُصاصة تركها حمزة مكتوبٌ عليها : أودعكم بدمعات العيوني

وجدت أيضًا:

لئن لم نلتقي في الأرضِ يومًا

وفرّق بيننا كأسُ المنون..

فموعدنا غدًا في دار خلدٍ

بها يحيى الحنُون مع الحنونِ..

خرجت من بيت حمزة وداخلي خليط من الحزن والفرح داخل روح مثلومة ثلمها رحيل الصحاب .. واحدا تلوَ الآخر .

"حاج علي" على بوابة الثمانين رقّ عظمه ولحمه، أغلب يومه يقضيه في المسجد .. بكى لاستشهاد حمزة وقال: كل صلاة كان يسلم علي.

صبيحة اليوم الثاني لاستشهاده الثاني كنت أستمع لنشيد أبي البراء في رثاء "شهداء منغ" فقلت في نفسي: رحل الأحباب والأصحاب!..

تأملت؛ فإذا صديقي "طالب علم، مجاهد، ملازمٌ للمسجد" وخاتمته شهادة في سبيل الله .. غبطته وقلت: لمثله فلندوّن السير..

تكلم خطيب الجمعة[١] عن حمزة وذكر قصته وخاتمته الحسنة فأبكى الحضور وزرع فيهم الأمل بعد أن ظنوا أن الأمة قد ضنّت بأمثال هؤلاء الشرفاء!.

بعد رحيل حمزة .. محمد يُطفئ آخر "سيجارة" ويعلنها توبة لله .. ومن بعده خالد وسعد وبراء وغيرهم .. ماذا فعلت يا حمزة ؟ دم الشهيد نورٌ ونار !

---

[١] كان الخطيب هنا تواق نفسه - تقبله الله -

تكتظ الجنة بالعابرين .. مليئة بأطيار روّوا تراب الشام بدمائهم .. أجسادٌ تبيع .. ورب يشتري .. والسوق ساحات الجهاد.

قصة حمزة .. ربما أنفقت في كتابتها من الدموع؛ زهاء الذي استهلكته من المداد .. ثم غرستها في بُستان الخلود .. لعلها تنير لنا الطريق يا شباب الأمة..

تاريخنا حافلٌ بأحفاد خالد والمثنى .. فافخروا باستشهاد [حمزة] وبقصته ؛ فهي وربي أجدر من قصة ألف جيفارا ومانديلا!

سلامُ الله عليك يا حمزة يوم ولدت، ويوم مت، ويوم تبعث حيا .. سلامٌ على رُوحك في الخالدين .

  

بوح:

أحداث أمتنا الجسام وزمن "التيه" الذي نعيشه يجعلنا نوقن أن لا خلاص لأمتنا إلا بنهضتها للجهاد!

لا خلاص إلا "بتربيــة جهــاديــة" يحمــل بها الأجيال هموم الأمة ويهجرون حياة الترف والنعيم ويســتعذبون العذاب في ســبيل المجد بالاسلام

شــبــابنــا بغير (النَّفَس الجهــادي) شــبابٌ ذليلٌ مُهان غارق في التفاهات حدّ النخاع .. موته خيرٌ له من حياة الذلة والخنوع!

❖ تواق..!

قصة مسجد البراء بن مالك

فصلٌ جديد من فصول البطولة و"نياشين الصّمود" يوسم على منائر مساجد الشام اليتيمة التي شهدت إجرام الطغاة، وظلت شاخصة رغم البلايا..

منارة مسجد [البراء بن مالك] أصابتها الضربات والطعنات فلم تخضع ولم تتضعضع؛ كما الصحابي الذي حمل هذا الاسم أثخنته الجراح فما لان وما استكان..

مسجد البراء حظي بخطباء مهاجرين في عيونهم المدامع وفي أرواحهم المدافع .. سقوا كلماتهم بدمائهم وقدموا قربان آلامهم ؛ فأضحوا اليوم ما بين شهيد وجريح وأسير!

مسجد البراء تخرّج من معاهده الشرعية عشرات المجاهدين الذين تدرّعوا بسلاح العلم والقتال ثم انطلقوا دعاة في مجامع الناس ومقاتلين في ساحات الوغى!

طلاب المعاهد الشرعية أدوا زكاة علمهم ؛ فمنهم من سال دمه على الثغور وقد شهد له الأطفال تعليمهم القرآن والعقيدة .. ومنهم من ينتظر .. وهذا هو الطريق.

أقيمت في المسجد حلقات قرآنية للصغار، حفظ الكثير منهم جزء النبأ مجودا والأصول الثلاثة ومتون العلم

ومن بركات الدعوة في الجهاد أن طالبا بات على مشارف ختم "نصف القرآن" غيبا، وآخر "ثلث القرآن" وغيرهم كثير .. في بضعة أشهر!

استمر العمل بشقيه التربوي والجهادي على قوته بسواعد المهاجرين والأنصار، وأطفال الأنصار وشبابهم يتوافدون أفواجا على الجامع بفضل الله..

وقبل عدة أشهر بدأت المنطقة تتعرض لقصفٍ شديد، فلا يكاد يخلو يوم من "براميل الموت" و "صواريخ الدمار" حتى استحالت البيوت مدينة أشباح!

المسجد الذي خرّج أغمارًا أرعبوا جنرالات الطغيان وأقضّ مضاجع النظام وأغاظ المنافقين ؛ كان من أكثر المواقع المستهدفة.

غارة تتلوها غارة على المسجد ، والهجمات الشرسة تتوالى .. ومنارة المسجد صامدة رغم العواصف ؛ لم تنحن ، لم تنثن ، لم ترتض ذل القعود!

عشرات الغارات .. المسجد مستهدف .. ولكن من رحمة الله وحفظه أنها تقع جانبه وأكثر ما يصيبه هو انكسار الزجاج فقط .. من رأى حجم الدمار حوله لم يصدق سلامته!

مع كل هذه البلايا إلا أن المسجد لم يزل غصة في حلوق الأعداء ؛ فالأطفال النجباء والشباب الأشداء ما انقطعوا يوما عن حضور حلقة القرآن ودُروس العلم!

في بداية القصف كانوا يخافون من رعبة البراميل ومن تطاير الشظايا .. ويومًا بعد يوم ألفوا صوت الطائرات ؛ حتى أصبحوا يتضاحكون بعد دويّ الغارات!

إلى أن كان ذلك اليوم ، الذي استهدف فيه المسجد بـ"صاروخ فراغي" الساعة الـ٩:٣٠ص ولكن بفضل الله سقط بالحفرة التي أمامه ولم يصبه شيء.

مباشرة اجتمع أطفال حلقة القرآن مع معلمهم بعد الانفجار وأتى شباب المسجد وتعاونوا على تنظيفه من الشظايا والغبار الذي ملأه .. وكأن المكان غير مستهدف

في اليوم الذي يليه في نفس التوقيت الـ٩،٣٠ص استهدف المسجد بـ"صاروخ فراغي" أصاب المسجد هذه المرة فانكسر سقفه.

توقعت أن يُهجر المسجد بعد هذا الدمار إلى الأبد، وأن تقل أعداد المصلين في المساجد التي حوله خوفا من استهداف المساجد؛ ولكني تفاجأت بانقلاب الموازين

بعد وقوع الصاروخ على المسجد مباشرة انتفض أهل الحي شيبا وشبابا وأطفالا لتنظيفه، وكأن الانفجار لم يكن الساعة .. أي صمود هذا ؟

من عادة العدو إذا حدد موقعا أن يكثف عليه القصف .. أما هنا فاجتمعوا في بيت الله من أجل ترتيبه وتنظيفه غير مبالين باحتمالية ما سيحدث..

جمرة الثأر في قلوب أهل المسجد انتفضت قهرا، وفي الوقت ذاته فرحوا بهذا "النيشان" على مسجدهم الذي حملوه، وبهذا القربان الذي سيقدمونه إلى الله.

عاد الأطفال إلى حلقتهم .. رأيت جروحا على أصابع "عبيدة" من حمل الشظايا، و عينا "عمار" يفتحهما بصعوبة لكثافة الغبار الذي دخلهما .. هنيئا لكم هذه الأوسمة

في فترة قليلة تم الانتهاء من ترتيب المسجد وتنظيفه، وعاد المصلون بصمودهم .. وسيبقى المسجد "منارة علم" ترضي الله وتغيظ عدوّ الله .. ولن نستكين.

طُويت قصة من قصص الصمود .. حقيرها طاغية حقود .. انتفض في وجهه شعبٌ سَئِم القعُود .. في صدره ثأرٌ يلهب كالوقود ؛ لينعم في ديار الخلود.

ويا سُقاة العزة ؛ هل من مزيد ؟

  

بوح:

تـــأمل كيف أنقذ اللَّه هذا المجتمع من جاهلية مظلمة تلف الكون ليتطهر بكوثر الإســـلام...وغَمس القلوب المؤمنة بنعيم الايمان لتنقى من أوضـــار الجاهلية!

تأمل كيف أسـرج ربنا طريق هذه الأمة الحالك سواده بنور القرآن والإيمان؛ ليغدوا طريقاً متخماً بالورد واللذة والروحية الحقيقية!

تصـــور كيف لو تكالبت عليك قوى الأرض بعجرها وبجرها .... ما إن تلتصق جبهتـــك بـــالأرض حتى تســـتمـــد القوى العظمى التي تقهرهم وتدحرهم بفضل من الرب!

كيف أنقذ اللَّه هذه الأمة من مســـتنقع آســـن يستمد شرعته من شريعة الغاب؛ ليســـطع فجر الإسلام في الأفق فتشرق الأرض وتتهلل فرحاً بفيض نوره وثنائه..

حينها ....

لا تمتلك إلا أن تشكر الرب كثيراً كثيراً على إغداقه عليك بالنعم وتقول:

ياله من دين!! لو كان له رجال يؤدون حقه..!

❖ تواق..!

يحيى .. من الظلمات إلى النور

يحيى الحبيب .. كان أول لقاء لي معه عندما سلَّم عليّ والده وقال : هؤلاء أبنائي .. أتيت بهم من تركيا وبذلتهم في سبيل اللّه، فاختر لهم ما تريد.

يحيى .. رأيتُ على قسماتِ وجهه إشراقة نور وتبدد ظلمة .. يحيى : ما قصتك ؟ فحكى لي قصته المذهلة .. قصة مليئة بالصدق والندم !

يحيى خرج ثائرا مع الثوار .. كان همه مثل همّ بقية الشباب وهو طرد العدو الغاصب .. يحيى كان على فطرته نقيا طيبا وغايته شريفة.

ولكنّ الغاية الشريفة لا بد لها من حرص واجتهاد.. أخطأ يحيى فلم يختر المجاهدين الصادقين .. بل خرج مع أقرب فصيل كان يعرفه.

طال أمد الثورة ؛ فتحول الفصيل من الجبهات إلى الحواجز والسرقات .. ونخر الفساد في قيادات الفصيل حتى عُرفوا بجرائمهم وفسادهم!

يحيى لم تكن عنده عقيدة قوية وإيمان راسخ .. انحرفَ أصحابه فكان معهم في اللهو والهوى .. زلوا فزل، وضلوا فضل؛ حتى انحرفت ثورتهم!

يحيى كان يبحث عن السّعادة ؛ كحال كثير من الشباب .. ابتدأ رحلة الضياع بالتدخين وترك الصلوات .. ولم يكن ثمة ناصحٌ ومشفق

كانت سعادة موهُومة ، وكلما زادت المعاصي زادَ ضنك العيش وظلمة القلب .. حتى استحالت السّماء غيمة سوداء فوقَ رأس يحيى تغرقه في الحَسَرات!

بدأ ضمير يحيى يؤنبه ، وصوت الحق يصيح داخله : يا يحيى ليسَ هذا هو الطريق .. يا يحيى ليسَ هذا هو الطريق.

بدأت فتنة الاقتتال الداخلي، فاعتزلها يحيى وذهب إلى تركيا ، وهناك أخذ يُراجع أوراقه ويرتب أفكاره .. ياللّه أينَ وصلت بي سكرة الهوى ؟ ياللّه أين أنا ؟!!

يحيى بعد فترة من الضياع .. وكم من المعاصي وسنين من البعد عن اللّه .. أخذ يراجع نفسه ، فاكتوى بنار الندم .. وانتفض في قلبه ضميرُ الحق!

يحيى أصبح يخاف من أن يقبض اللّه روحه وهو على هذه الحال .. وأرخى سمعه إلى كلام اللّه فسمعه نديا رقيقا : يا أيها الذين آمنوا توبوا إلى اللّه توبة نصوحا.

يحيى عَرف المسجد بعد أن لم يكن يعرفه .. وترك الدخان بعد أن أدمنه .. وهجرَ رفقة السوء بعد أن أغرقوه في المعاصي .. وعاد يحيى إلى فطرته

وفي الصف الأول في المسجد سالت دمعاتٌ ساخنة على خدود يحيى .. بكى على عمر الضّياع، وعلى رفقة أضاعوه .. وأي فتى أضاعوا؟

تعرّف يحيى على اللّه بعد أن لم يكن يعرفه .. وتهلل وجهه بنور الإيمان بعد أن سوّدته ظلمة الذنوب .. وأعفى لحيته وقصّر ثوبه .. وانضمّ إلى قوافل العائدين

يحيى تبصّر بحاله ، وعرَف مآله ، واختارَ طريقه .. وتغير من حال إلى حال .. وقرر العودة إلى بلاد الشام ؛ ليُصدّق توبته بجهاد نقي يكفر خطاياه.

كان يحيى يعلم أنّ النفس البشرية ضعيفة ، وأنه مهما تاب وأناب، فسيأتي إليه الشيطان ليغريه بماضيه؛ فعلم أن أعظم دواء لقلبه : خطوط النار!

خطوط النار .. مسرحٌ للموت .. ومنصّة للزينة .. على ساحتها يغتسل الشباب من ذنوبهم، ويختمون اغتسالهم بإراقة دمائهم ؛ فيتمّ لهم الطهر والنقاء!

قدم يحيى إلى أرض الجهاد .. وانضمّ إلى صُفوف المجاهدين .. وهناك اكتملت استنارة وجهه فأصبح مستنيرًا بالإيمان .. ووجد روحه التائهة الضائعة.

عاد يحيى .. ولكنه يحيى الصادق التائب العائد إلى الله ، تلفه الحسرة وتحوطه دُموع الندم، ويغلي قلبه بنار الأسى .. ولم يكن مثل يحيى السابق.

يحيى دَرَس في "المعهد الشرعي" وتعلم أُمور دينه، وكان يواجه صعوبات التعلم إذ أنه ضعيف القراءة والكتابة ، ولكنه ثابرَ واجتهد حتى استنارَ بنُور العلم.

استنار قلب يحيى بالعقيدة الصحيحة ؛ فعلم لماذا سيحمل السلاح ؟ ولماذا سيجاهد ؟ وما هي غايته ؟ .. وندم على وقت مضى حمل فيه السلاح بجهل!

انتهى المعهد الشرعي .. فعرّفه على رفقة صالحين، يذكرونه بالله ويثبتونه .. أحبهم وأحبوه؛ وكانوا رفقة خير وبذل ونخوة وجهاد واستشهاد.

أخذ أصحابُ السوء يغرون يحيى بالرجوع إلى أيامه الماضية .. ولكنه كان ثابتا كالطود؛ وكالجبل الأشم، وتلك هيَ العقيدة إذا خالطت بشاشة القلب!

أراد يحيى خوض المعسكر والرباط والمعارك مع الشباب، ولكن مسؤول "العمل الإغاثي" أخبره بشدة حاجته له في هذه الأيام .. فوافق يحيى وبدأ العمل

كان اليتامى، والثكالى، والأيامى، والأرامل، وأُسر الشهداء، يعرفون يحيى .. فيحيى هو الذي يتفقد حوائجهم ويُلبّي طلباتهم ويرعى أطفالهم وشؤونهم.

كان محبُوباً عند الشباب .. ودائما ما يُؤثرهم على نفسه، أبيضَ القلب، لا يحقد ولا يغل ولا يحسد.. لم يُذكر أنه غضب ولو لمرة واحدة .. سمحٌ سهلٌ، هين لين.

دخل شهر رمضان؛ فكان أول رمضان يمر على "يحيى التائب" .. كانَ فرحًا لقدوم نفحات الخير؛ فملأ صدره منها ، وصفّ أقدامه مع المصلين

كان في الصف الأول في المسجد .. ويصلي صلاة التراويح كاملة خلفَ الإمام، ويلبي حاجات المسجد، أحبّ بيتَ الله فكان يمكث به الساعات الطوال.

اعتكفَ الشباب في العشر الأواخر من رمضان؛ فرغب أن يعتكف معهم ولكنه لم يستطع، فهو على ثغر عظيم .. كان لا يفطر كل يوم إلا بعد الأذان بـ١٠ دقائق

كان يأكل تمرة، ثم يقف هو وأصحابه على تقاطعات الطرق الواسعة وقت أذان المغرب، ويوزعون التمر والماء، كانوا كل يوم على هذه الحال

يحيى وجدَ السعادة الحقيقية ؛ فأخذ يسابقُ الصحاب في ميادين الطاعات، وينافسهم في فعل الخيرات، وهناك استقرّ قلبه واستراح.

انتهى شهر الخير ؛ فكان يحيى خير تائب إلى الله .. كان قوّاما بالليل صوّاما بالنهار ويطعم الناس في الطرقات والبيوت ولا ينسَى الصحاب.

قابل أحد أصحابه المقربين فأهدى له "قميصا" لبسه يحيى .. ثم أتاه نبأ استشهاد صاحبه بعد أيام، فرح يحيى لصاحبه وتأثر وأصبح يحب لبس قميص الشهيد.

كانت مراجل قلبه تقذِفُ حِمَما وبراكينا .. كان يحترق ليشارك الشباب في الرباط والقتال، إغاثة الملهوف وإطعام الجائع لم تُشبع رغبته .. ولن تشبعها إلا الجبهات!

أصر على أميره في العمل الإغاثي بدخول المعسكر فأذن له، دخل المعسكر وتدرّب على السلاح من جديد بنية صادقة .. وقضى أجمل أيامه

خرج يحيى من المعسكر وهناك تعرف على "أبي إسلام" ذلك الشاب الطيب الهادئ، ثم التحق يحيى بالجبهات ولم يُقصّر في العمل الإغاثي .. فجمع خيرًا إلى خير.

بدأ يحيى بالرباط على الثغور، وهناك أخذت ذنوبه تحترق وتتلاشى -نحسبه والله حسيبه- بين دوي الغارات وأصوات المدافع وزخ الرصاص .. وشعرَ برجُولته الحقيقية.

مضت الأيام .. بدأت نسمات الهواء البارد تداعب غُصون الشام، كان يحيى يعلم أن أصحابه "المهاجرين" لم يتعودوا على برد الشام، فبحث لهم عن وسيلة تدفئة

وجد يحيى ألواحاً من "الطاقةٍ الشمسية" توضع على أسطح البنايات لتسخين الماء، أراد حملها فكانت ثقيلة، رفعها بقوة فسقطت على رجله وشرختها!

أخذ الدم يثعب من الشرخ الذي في قدم يحيى، مسح الدماء من رجله، وحمل الألواح من جديد وركبها للشباب .. وبقي الجرح غائراً في قدمه يشهد لوفائه.

ذلك الجرح أعاق يحيى عن العمل العسكري، ولم يتلذذ إلا برباط واحد ثم جُرح فأُعفِي عن الرباط والمعارك .. كان الشباب يودعونه إلى المعركة فيحترق قلبه.

تقدم العدو الغاشم على الأرض والعرض بسبب خيانة عظيمة[1]؛ فكان الشباب في معارك يومية على جبهات حلب لصد العدوان .. أما يحيى فكان جريحا مكلوما

عاد يحيى يوما إلى بيته ففاتحته أمه بما تكنه في صدرها، قالت: بدنا نجوزك يا ولدي .. فرد يحيى: لا لا يا ماما ما بدي .. أنا بدي حُوريات!

بعد أيام من المعارك الحامية ، بلغ يحيى نبأ استشهاد صاحبه "أبو إسلام" بطلقة قناص في صدره وهو مرابط، ولم يمضِ على رباطه إلا فترة قليلة

أبو إسلام .. ذلك الشاب الطاهر الوضيء، الذي تشقق قلبه شوقا إلى الجهاد ولكن صدّ والده عنه كان متكررا؛ حتى عزم أمره فهرب من البيت إلى المعسكر.

---

[1] كان سبب تقدمه مجموعة من العملاء المتعاونين معه، سهّلوا له ذلك ورصدوا له الطريق، وقد تم كشفهم والقبض عليهم ولله الحمد

تعرف يحيى على صاحبه في المعسكر فأحبه، وبعد المعسكر ظل أبو إسلام خارج البيت خوفا من بطش والده ؛ حتى اصطفاه الله شهيداً.

نظرَ يحيى إلى صاحبه وهو مسجّى بالدماء .. فمسحَ عبرته وقال : سبحان الله .. "ليش هو استشهد وأنا ما استشهدت ؟" .. صدقٌ في الاشتياق

بعد بضعة أيام من استشهاد "أبي إسلام" واستمرار معارك الشباب فتح الله عليهم بقطع طريق الإمداد بين جبهة "حندرات وسيفات" فحوصر الكفار.

كان الرباط خطيرا لأن المنطقة مرصودة ومكشوفة على جميع جبهات العدو ، ولكنها نقطة مهمة للغاية وتسهل على الشباب بقية الاقتحامات..

أتى وقت تبديل الرباط فكان يحيى متلبسا متزينا ، ضحك الأمير عندما رآه وقال: أنت مصاب لن تخرج .. غضب يحيى وأمسك بتلابيبه وقال : بل سأخرج!

قال له الأمير : سأضغط على قدمك؛ فإن آلمتك فلن تخرج .. أخذ يضغط ويحيى يكتم الآه حتى تركها ، ثم ضحك يحيى وقال : إذا بدك أروح لحندرات ركض رحت (:

في الطريق كان الشباب جائعين، فمروا على مطعم ووقفوا عنده لشراء الطعام، ولكن المشكلة أنهم عند الدفع لم يكن أحد منهم لديه مال!

ضحك يحيى عليهم وقال: "يالله اليوم نطعميكم"، وأخرج مالاً ودفعه، ثم طلبه بعض الشباب فأعطاهم حتى قال : يا شباب ما ضل مصاري والله[1] (:

خرج الشباب إلى الرباط على جبهة "حندرات" وهي أخطر الجبهات اليوم .. بدأ الشباب رباطهم، وما هي إلا ثوانٍ معدودة حتى سقطت قريبا منهم قذيفة هاون

[1] مصاري: هي النقود باللغة العامية في الشام

انبطح الشباب بعدها تحسبا للقذيفة الأخرى، كان يحيى ينزل على الأرض فسقطت قذيفة أخرى وانفجرت بين الشباب .. قام الشباب بعدها يتفقدون بعضهم

وصلوا إلى عبدالسلام فوجدوا قدمه تنزف، أرادوا حمله ولكنه قال : "يا شباب انبطحوا أخاف أن تسقط قذيفة ثانية فتصيبكم الشظايا" .. فاقت محبتهم نزيفه

يحيى ممدّدٌ على الأرض!

يحيى .. يحيى .. لم يرد عليهم!

اقتربوا منه فوجدوه يأخذ نفسا عميقا .. ثم ترتخي أعصابه وعضلاته .. وهو يتلفظ الشهادة.

قلبوه يمنة ويسرة .. لا حراك .. صاح الشباب : يحيى شهيد ، يحيى شهيد .. كان وجهه هادئا كأنه نائم .. ورُسمت على شفته ابتسامة صغيرة.

مشهد سريع .. مشوا في الخندق .. وصلوا نقطة الرباط .. سقطت قذيفة هاون فاختار الله يحيى من بينهم .. ثوان معدودة وخرجت رُوحه بسكينة وهدوء.

لم يسمع الشباب أنينه ووجعه أثناء خروج رُوحه ، بل كان شيئا يسيرا كمسّ القرصة .. ثم نام نومة هنيئة وهو مشتاق إلى حُور الجنان ورؤية الرحمن

تركه الشباب وحيدا .. تركوه يكمل نومته .. حملوا بقية الجرحى ثم عادوا إليه .. كان متلذذا بنومه ؛ وكعادته لم يعاتبهم على تأخيرهم أو تركه وحيدا..

وصل إلينا الخبر ؛ فانقسمنا بين مصدق ومكذب ! "يحيى مصاب في رجله كيف ذهب إلى الرباط ؟" الذي نقل الخبر كان متوترا .. حتى وصلت جثة يحيى.

يحيى تاب ورجع إلى الله، ونحسبه صَدق في التوبة فأكرمه الله بالاصطفاء .. كان ثاني رباط له.. وقطرات دمه زينت قميصه الذي أهداه له الشهيد!

يحيى .. ارتقى ناصِعَ الجبين .. ارتقى وهو مرابط على ثغر مخوف، ارتقى وهو يطرد العدو الغاصب .. ارتقى وهو يتلفظ بالشهادة .. فيا للهناء!

تجمع الشهداء صفة "طيبة القلب، وحسن المعشر، والسكينة والهُدوء" .. كانت طيبة قلب يحيى سمة ظاهرة عليه توحي باصطفاء الله له.

يحيى صلى معنا الجمعة الماضية .. ثم جمع الأموال التي أنفقها الأنصار للمجاهدين، ورتبها وصففها ثم أعطاني إياها .. ثم قدم روحه بعدها

يحيى كان لا يعرف القراءة ولا الكتابة ، ولم يأخذ الشهادة الثانوية ولا الجامعية ولا الماجستير ولا الدكتوراة .. ولكنه نال أعظم شهادة في سبيل الله!

يحيى نحسبه لم ينل فضل الشهادة فحسب؛ بل نال أجر شهادة برباط بإذن الله .. وإذا مات المرابط في رباطه فأجره مستمر حتى قيام الساعة.

يحيى ترك الدخان .. حافظ على الصلاة .. كان في الصف الأول .. كان يتسابق في الخير.. انضم للمجاهدين .. نحسبه صدق ؛ فاصطفاه الله.

عندما وصلت جثة يحيى، كانت ملامحه جميلة هادئة ، ولم يكن به أي أثر للوجع .. شيّعناه وأهلنا عليه التراب ثم هنأنا والده فبشرنا بفرحه : والله أنا فرحاان الحمدلله!

نفضّت يدي من غُبار قبر قرّة عيني "يحيى"، يحيى القلب، يحيى الفؤاد، يحيى الرُّوح .. تركت قطعة من قلبي في ذلك التراب الذي حَوَى جسد الحبيب!

زفراتٌ ساخنة .. ودمعاتٌ دافئة .. تنهال على الخدين ؛ لتودع حبيبا رحل وارتقى .. زفراتٌ وآهات .. وكل زاوية بها شذى من عطر الحَبيب.

انتهينا من دفنه ، ونثرنا عليه الأتربة .. فنفضّت كفيّ المغبّرة .. وكفكفتُ دُموعيَ المبعثرة .. وقبلنا قميصه الذي يقطر دماءً مُعطرة .. وحمدنا ربنا الذي قضى الأمر فقدّره.

سلامُ اللّه عليك يا يحيى حينَ وُلدت وحينَ ثُرت، وحينَ صبرتَ وحين صمدتّ .. وحين تُبعث شهيدًا بإذن اللّه.

  

بوح:

ولى زمان الخانعين ، وأتى زمان الفتاحين!

جندلوهم يا جند اللَّه!

وأعلموا الفجرة أن الأرحام التي أنجبت أسود الشرى وكماة الوغى، لم تزل تنجب وتضع وإن تغطرس الباطل وتبختر!

مزقوهم يا جند اللَّه !

وأخبروهم أن خلف كل قطرة دم بريئة أفئدة فتية تتوهّج اشتياقا لساحاتِ النزال وصفوف القتال وحَصْدِ الرؤوس!

اسحقوهم يا جند اللَّه

وذكروهم أن المهج مبذولة، والأرواح على الأكفّ، ورحم النصرة ولود، والعَبرات لم ترقأ، واللوعات لم تهدأ .. والأسى يضطرم!

هبوا هبة إعصار وأشعلوا الأرض نار.. وازأروا زأرَ الليث وارشقوهم رشقَ الغيث، وصبراً؛ فسيُنجز الوعد، ويوفَ العهد ..فلينتظروا ؛ إنما يُعد لهم عداً..!!!

❖ تواق..!

مشاهد من تلة حندرات

حاول الكفرة التقدم على تلة حندرات وتسللوا إليها ليلًا فلما طلع الصباح أمطروا الشباب بما يخطر وما لا يخطر من المدافع والقذائف والصواريخ!
أما الإخوة فإنهم ثبتوا ثبات الجبال الراسيات ، فهذا "أبو اليمان" يقف خلف الساتر رافعًا رأسه بعزة لا ينحني ينتظر إطلالة رأس كافر حتى يقنصه!
وكلما أطل كافرٌ برأسه قنصه "أبو اليمان" حتى أردى منهم مجموعة من القتلى، ثم اصطفاه الله شهيدًا بعد أن أثخن فيهم.

شيخنا وحبيبنا "أبو حفص " كان في خط المواجهة مع أعداء الله فوق تلة حندرات فأتته شظية أو طلقة في صدره ولكنها لم تكن قاتلة بلطف الله .

تقدم الأخ الطبّي بين خطوط النار إلى حبيبنا ليُسعفه فلما وصل إليه طلب أحد الشباب أن يُعاونه في إيقاف نزيف الجرح من صدره وتضميده
تقدّم الفدائي بين القذائف حتى وصل إلى شيخنا وأمسك بـ "فنيلته" حتى يُضمّد الطبي جرحه، بعد قليل أخذ يسحب الفنيلة وشيخنا يتوجّع وهو يسحبها بقوة!

التفتوا إليه فرأوه يميل على الشق الآخر حتى سقط على الأرض ممسكًا بفنيلة أبي حفص اقتربوا منه فرأوا طلقة في جبينه والدم الساخن يروي تلة الشهداء.
يالله .. رأى الدم ينزف من صدر صديقه فتقحّم المخاطر حتى يُنقذ حياته، فكان أن قدّم روحه لله ليُنقذ حياة صاحبه ؛ لتكون أبلغ صور التضحية والفداء!
يا للفجيعة .. الشهداء والجرحى يملؤون ساحة تلة الشهداء ، والعدو الغاشم يصرّ على التقدم، وعزائم الشباب بدأت تضعُف من مشاهد الدماء..
كانت المعنويات تضعُف، فمرة أتى "داوود القوقازي" الذي كان [جيشًا لوحده]،

فبحث بين أصحابه عن سلاح رشاش Bkc حتى يحصد الأعداء فلم يجد. من بين غنائم الكفار وجد "داوود" مطلوبه !!

سلاح رشاش Bkc مع طلقاته ، فحمله وتقدم إلى أقرب نقطة وأخذ يحصد الكفار بسلاحهم بأكثر من ٥٠٠٠ طلقه !!

لم يُشبع هذا السلاح رغبته ، فوجد من غنيمة الكفار سلاح "دوشكا" متناثر ، فأخذه ورتبه وحمله على ظهره لوحده حتى اقترب من الكفار فحصدهم به (: كان الشباب يُرابطون على بعض الثغور ولا يتحركون من تعبهم ، أما "داوود" فكان يرابط على عدد من الثغور لوحده يذرعها جيئةً وذهابًا وحصداً للكفار.. كان الجو باردًا ولكن الهمة والعزيمة دبّت في قلب البطل فنزع " الجعبة والفنيلة " من الحرارة التي يشعر بها من فرط حماسه ، حتى أضحك الشباب عليه (:

كان العدو يمطر التلة بالقذائف والحِمم، والشباب يطلبون المؤازرات والذخيرة والطعام، ولكن طريق الإمداد قد رُصِد؛ فتبايع الشباب على الموت تبايع الآساد على الموت ، وأن ألا يتركوا التلة حتى ينتصروا سُعداء أو يصطفيهم الله شهداء فاستمروا يوماً كاملاً في جوع وحصار وقصف.. نحسبهم صَدَقُوا ما عاهَدُوا الله عليه ، فأضحى معظمهم بين جريحٍ وشهيد ، ولم يتركوا التلة حتى سلموها لمن بعدهم وهي ساخنة بدمائهم وأشلائهم!

في لحظات عصيبة، يأتي "أبو عابد" ويتبختر أمام العدو؛ فيرمي عليه العدو فلا يصيبه، فيصرخ عليهم: يا أغبياء ما تعرفون تصيبوني(:

يصيب العدو أذن "أبو عابد" ويستمرّ في مشهد إغاظة الأعداء ، ورفع معنويات الشباب، حتى دحرَ الله العدو، وجرّ أذيال الخيبة والهزيمة .

من غنائم التلة كانت قاعدة صواريخ " كورنيت " مع ثلاثة صواريخ روسية لم يكن يحلم بها الشباب ، وجهوها مباشرة على الكفار وفجّروا دبابتهم بقاعدتهم

أيّد الله الرماة ففجروا حتى الآن أربع دبابات .. ولا تزال المعركة ساخنة حتى الآن ، والعدو يحاول استرداد التلة يوميًا والشباب لهم بالمرصاد.

  

بوح:

ربعي بن عامر..

بثيابه الرثة جابه أعتى قوة على وجه الأرض وقال بروح مؤمنة تتوقد عزة وإباءً لطاغية كسرى كلماتٍ خالدات ما نسيها التاريخ .

هل تظن أن ربعيا اكتسبَ هذه العِزة المتفجرة من روح متهلهلة الإيمان ؟ أو كان يتخلف عن صلاة الجماعة ؟ أو لم يكن للقرآن جزء لا يتجزأ من يومه؟

كلا واللَّه ؛ بل عَرَفَ طريق الجنة فسار إليه بثبات وعزيمة ، واستعذب العذاب في سبيل اللَّه .. وعلم أنه لا أجر ولاثواب من غير جُروحٍ وعناء!

قم وانهض يا أُخيّ وكن كربعي.

فقد ولى زمن النوم! ... كيف لك أن تسأل:" هل من مستراح ؟"

وقد أثخَنتْ أُمّتك الجراح!! وقد أثقل صدرك العبء الرزاح !!

سطر صحيفتك بالضياء، وزيّنها بالتضحية والفداء ، واعزف على وترها لحن العزة و الإباء ...، واصنع مجداً يليقُ بعظيم مثلك..

❖ تواق..!

الأخوان الشهيدان

قبل عام ونصف .. ابتدأت حكايتي معهما بتراتيل الصّفاء وأنفاسِ الصِباح ، وسقينا غُصون محبتنا بماء الوداد .. حتى بقيت ذكرى خالدة!

أحببتهما .. ولا تسل المحب لماذا أحب ! حب بلا ميعاد ، ولا أوراق ، ولا تمهيد .. لقاءٌ عابر .. وأعين التقت فالتقى معها الحب في الله.

في ساح الجهاد ، يكثر المشتاقون إلى ربهم .. ترتسم ملامح الصدق والتضحية على قسماتِهم .. تلك القسمات تقذف محبة أصحابها في القلوب.

أولئك الأبرار .. كوتهم نار الألم .. فهجروا العيش الرغيد ، وكسروا أغلال الذل ، وحملوا سيوف الثأر ، وروّوا تربة الشام بدمائهم فماتوا ناصعي الجبين!.

أقبلا عليّ بهمة وعزيمة .. كان "أبو عبدو" طويل القامة، مفتول العضلات، قوي البنية، صافحني فكادت تختفي كفي داخل كفه الكبيرة .. وكانَ أول لقاء.

وكان الثاني "أبو جعفر" سمحًا سهلا ليّنا مبتسما لطيفا متوددا .. كان ذلك بعد أداء صلاة العشاء في المسجد فألحّا عليّ بالذهاب لبيتهما

كانا شابين في مُقتبل العمر وصحة الشباب ، احترقت قلوبهم من آلام أمتهم حتى استحالت آلامهم آمالاً .. وترجما دمعاتهما بالجسارة والإقدام

تحدثا معي حديث المُلتاع عن أمتهم وعن التغييب والتجهيل الذي مارسه الطغاة ضد شعوبهم وعن جراح أمتهم الغائرة ودمائها الساخنة!

كان حديثا طويلا مشوبا بالآلام والآهات والزفرات .. انتهى بوحهما المحزون وهما يخبرانني برغبتهما بالانضمام إلى كتائب المجاهدين.

هجرا متاع الدنيا وهاجرا إلى اللّه ، وواجها العقبات في طريق الحق فلم تُثنهما المحن ولم تُزعزعهما الفتن ؛ بل قابلاها بصمود وثبات!

في بداية طريق الهجرة .. اختارا طريق تعلم أُصول الدين وركائزه ثم حمل السلاح عن عقيدة وبصيرة .. فاختارا "المعهد الشرعي. "

في "المعهد الشرعي" كانا من أنجب الطلاب لا يتغيبان إلا ما ندر .. وكانا يُواجهان صعوبة تحمل مسؤولية الأهل والبيت ومع ذا كانا جادين مجتهدين.

في أيام المعهد كانا يسمعان أخبار فتوحات المجاهدين فيحترقان رغبة وشوقاً للحاق بهم .. وكنت أصبّرهما ريثما ينتهي المعهد ثم يشاركان الشباب.

انتهى المعهد الشرعي فكانا من الطلبة المتميزين .. التحقا بعدها بالجبهات واختارا تخصص "التفخيخ" وكانا مفخخين بارعين

أحبا مهارة التفخيخ وأتقناها بمدة وجيزة .. قبل كل معركة كان الشباب ينادونهما فيأتيان بالألغام يحملانها بسواعدهما القوية.

أبو عبدو .. كان ذو بسطة في جسمه توحي بصعوبة التعامل معه ، ولكنه كان عكس ذلك بكثير، فقد كان يحمل قلبا أبيض مثل الثلج يحب إخوانه ويفديهم بنفسه وماله

تواضعه لإخوانه أجبرهم على محبته .. اشتهر بين الشباب بطيبة قلبه وسُموّ أخلاقه وعظيم تضحياته .. كان رجلا يومَ قلّ الرجال!

بارودة الشهداء .. استلمها مجاهد فاستشهد ، ثم استلمها مجاهد آخر فاستشهد ، ثم استلمها "أبو عبدو" ودعا أن يختم له ربه بها.

في المعارك تجده في خط النار الأول يحمل بيده "الألغام " فيفخخ بها أسوار الكفار ثم يكبس زر الانفجار فتتهدم الحصون وتتساقط الأسوار ويقتحم الأسود.

ذاتَ مساء كان مرابطا على ثغر مخوف، فأتاه اتصال هاتفي أقضّ مضجعه وأحزنه وأبكاه ؛ أتاه خبر موت ريحانة قلبه وزهرة فؤاده (ابنه الصغير) .

أبو عبدو رُزق بطفلين جميلين .. أخذ الله أمانته منه بسقوط ولده من شرفة المنزل على الأرض .. وكان راضيًا بقضاء الله.

ذبلت وردة منزله الصغير .. بكى عليه كثيرا وهو يهيل عليه التراب، اكتوى بحرارة الدموع .. ولم يجد مكانا يكفكف دمعاته به إلا في العودة إلى الثغور!

على سُفوح الثغور الحزينة يترجم الأبطال أحزانهم بتضحياتهم .. دفن البطل ابنه وعاد مباشرة إلى ثغره فاستحالت أحزانه براكين يقذفها على أعداء الله!.

"أمواج البحار"

يسكب العاشقون دموعهم على شُطآنها لتخفيف لوعاتهم ؛ أما لوعة الأبطال فلا تخففها إلا ثغور الرجال وملاحم القتال!

الكثير يذرفون الدموع على جراحات أمتهم ؛ لكن القليل من تستحيل دموعهم إلى أفعال و أنغام للشهادة يطربون بها في ساحات النزال! .

الكثير يتوجعون لأمتهم .. ولكن القليل من تتحول أوجاعهم إلى قناعة وعقيدة راسخة أن لا ضماد لجراح أمتهم سوى "الجهاد والاستشهاد. "

أبو عبدو .. بدأتُ معه الطريق ثم انشغلت عنه ، وكنت أسأل عنه فلا أسمع إلا خيرا .. مرت فترة طويلة لم أقابله فيها ولكني ظللتُ على اشتياق دائم له.

مرة حكى معي قبل العشاء يود مقابلتي، رأيته بعد الصلاة فتعانقنا تعانق المشتاق .. تعاتبنا تعاتب المحبين على تقصيرنا وعذرنا بعضنا بانشغالنا بالجهاد.

كان العدو الغاشم قريبا من منطقتنا، ويستعد للتقدم أكثر ، قلت : بشرنا هل من معركة قريبة؟ قال : أنت مستعد ؟ قلت : مستعد . قال : الليلة إن شاء الله.

ثم أخذ يبثني آهاته وزفراته عن خطورة تقدم العدو، وعن أعراض مئات "حرائر حلب" المهددة .. كانت النار تغلي في صدره والغيرة تلتهب بين جوانحه!

رفع سبابته وبصره إلى السماء وقال لي : "نلتقي فوق، في الجنة إن شاء الله" .. وختم اللقاء بابتسامة .. توادعنا .. وما علمت أنه الوداع الأخير!

عند السّحر .. بدأت المعركة ، ومع اقتراب أذان الفجر التحمت الصفوف .. استعصى البناء على الإخوة فتقدم "أبو عبدو" ومعه ألغام التفجير والتفخيخ!

تقدم قبل الانغماسيين .. وضع الألغام على سور بناية الكفار، تقدم وحيدا حاملا جراح أمته حاملا محبته لإخوانه حاملا كل معاني التضحية والفداء..

تقدم "أبو عبدو" وهو يتنفس عبقَ الشهادة .. كان يرى مصرعه أمام عينيه ، ويرى أمة مكلومة من خلفه ترقب فتوحات المجاهدين ببصيص أمل من عيون حزينة..

فجر الألغام ، وكبر الشباب ، وتطايرت الشظايا من كل مكان .. ولكن أبو عبدو لم يعد .. علم الكفار عنه فكان ذهابه بلا عودة.

قدم دماءه مسكا لأمته يُعطّرها بأريج العزة ويكللها بتيجان السموّ .. ابتدأ مسيرته بلقائي وختمها بلقائي ، وكأنه يُهديني عربون المحبة.

اختار لنفسه ميتة عظيمة .. ميتة الشرفاء في الصفوف الأول من معارك الرجال وهم يذودون عن حياض أمتهم .. ولم يختر لنفسه ميتة الجبناء على فراش الذل.

أبو جعفر .. كان فرحا باستشهاد شقيقه ، وكان يعتبره "وسام شرف" أكرمهم الله به .. ولم يذرف سوى دموع قليلة لم يتمالك نفسه أمامها.

قبل استشهاد شقيقه بأيام وفي معركة "الملاح" كان أبو جعفر في الصفوف الأولى يرد الصّائل فأتته طلقة في خده ، وبلطف الله أنها لم تكن قاتلة.

قبل استشهاد شقيقه بشهر كان "أبو جعفر" قد دخل عُش الزوجية ، واختار فتاة صالحة تشاركه مسيرة جهاده، ثم أدخلها المعهد الشرعي النسائي..

تعافى أبو جعفر من إصابته فعاد إلى مشاركة الشباب في قتالهم ومعاركهم ، حتى أتت معركة "حندرات" فكان من ضمن المشاركين بها.

قبل المعركة رأى أخاه "أبو عبدو" في المنام وأمسك بيده وأخبره باشتياقه له، وفي ليلة المعركة كان يقول للشباب : يا شباب اشتقت إلى اللحاق بأخي!.

وقبل بدء المعركة بقليل كانت السيارة تحمل الشباب متوجهين إلى محيط المعركة ؛ فاستهدفتهم الطائرة بصاروخ حمل الشباب إلى الجنة بإذن الله!.

بدأت المعركة وفجّر الاستشهادي وانغمس الآساد وأثخنوا في أعداء وكتب الله لهم نصرا مؤزرا.. وتهاوت آمال النظام النصيري بـ"حصار حلب"

عندما طلع الصباح أخذ الشباب ينقلون الجرحى والشهداء .. وتفاجأنا بصاحبنا "أبي جعفر" كان في عِداد الشهداء ؛ أبى إلا اللحاق بأخيه..

وهكذا يمُوت العظماء .. ميتة تُشعل طريق العزة نورا ونارا .. نورا للشباب الأبرار ليكملوا الطريق ، ونارا على الأعداء ليعلموا أننا أمة لا تموت إلا قتلا!..

وفي الصباح الباكر استيقظت "أم جعفر" على بعض الأحاسيس والمخاوف، لم تكترث لها واستمرت في صنع "معطف الصوف" لزوجها.

ثم أخذت ترتب المنزل وهي تشعر أن اليوم سيأتيها ضيوف كثير .. وعند الظهر كان بدء الدوام في "المعهد النسائي" وانتهائها من حياكة المعطف

حتى هذه اللحظة "زوجة الشهيد" لا تعلم شيئا عن زوجها .. أسرُّوا للمعلمة نبأ استشهاده فلم تتمالك نفسها وغالبت دمعاتها لتشرح الدرس

حوّلت المعلمة الدرس إلى الحديث عن (فضائل الشهادة) وما يجد الشهيد عند ربه ، ثم أخذت تسأل كل طالبة عن شعورها لو استشهد صفيٌّ لها أخذت "أم جعفر" تُحلق مع أجواء الشهادة الجميلة وفضائل الشهيد التي ترويها معلمتها وهي صامتة ساكنة .. والكون كله يصمت هيبة للشهيد!

ثم قالت المعلمة للطالبات : قوموا نهنئ أختنا "أم جعفر" فقد اصطفى اللّٰه زوجها من الشهداء ليلة البارحة وهو يدافع عن دينه وأرضه .. كان الخبر صدمة للنساء!.

خيّم السكون .. واستوعبوا الفاجعة .. ثم ضجّ الصف بالبكاء .. ومهما كان إيمان المؤمن ورضاه بقضاء ربه إلا أن الدموع شيء فطري فُطِر عليه نبينا.

كانت العيون كلها ترقب "أم جعفر" وردة فعلها .. قامت من مكانها وخرت "ساجدة" شكرا للّه على قضائه ، ولم تذرف دمعة واحدة!

النساء لم يتحمّلوا الموقف ؛ فلم يمر عليهم من قبل موقفٌ لفتاة ترملت في عمر الزهور مؤمنة بربها راضية بقضائه، فارتفعت أصواتهم بالبكاء..

التفتت للطالبات ثم قالت : لن أسامح واحدة منكن إن ذرفت دمعة على زوجي !. وتحول الموقف من بكاء إلى تهاني وابتسامات وبطولات وإكبار..!!!.

للّه هي من امرأة مؤمنة صابرة .. فاقت كل الأوصاف وكانت "أُمّة" بصبرها وتضحيتها وثقتها بربها .. إننا نستمطر نصر اللّه بها وبمثيلاتها

لحق الشقيق بشقيقه .. وصدّق أشواقه بدمائه .. وسَطّرا قصة ناصعة البياض من قصص المجاهدين الأبطال على ثغور حلب ؛ لتحفظها صفحات التاريخ!.

  

بوح:

ابتليت ؟ تضايقت ؟ حزنت ؟ توجعت ؟

اعتزل هذا العالم الصاخب ، ابتعد عن هذه الضوضاء ، حلِّق ببصرك إلى السماء .. واستنشق الهواء النقيّ!!

اهجر أركان الخلق المتهالكة ، واحتمِ بركن اللَّه الشديد .. ارفع أكف الضراعة وتذوق لذة المناجاة في هجعة الليل البهيم .. وأبشر بالفتوحات!!

❖ تواق..!

صاحبنا والـDiscount

مُجاهدٌ مهاجر .. شهدت له تخوم الشام وبقاعها ، قدّر الله أن تصيبه وعكة صحية .. فبحث عن العلاج فلم يجده.

اضطر للخروج إلى "تركيا" لتأمين العلاج ثم العودة .. ودّعنا على مضض وهو يجرّ خطاه، مسح الدمع من عينه وهو يلقي السلام على ثغور الشام الأبية.
وجد العلاج في مشافي تركيا ولكن التكلفة كبيرة جدًا ولا يستطيع هو ولا أصحابه تأمين المبلغ ، ولم يبق له إلا حل سؤال الله والرجوع إلى بلاد الحرمين فسافر من أنطاكيا إلى اسطنبول.

صاحبنا لا يعرف (الإنجليزية) لذا ورط ورطة كبيرة في المطار التركي .. وصل فبحث عن مترجم ليدله على طريق العودة ... وبعد البحث المضني والمواقف المحرجة وجد المترجم فحمد الله واسترد أنفاسه التائهة .. ثم أخبره المترجم بأنه أخطأ الوجهة فهذا مطار داخلي!
حمل حقيبته واستأجر سيارة "أجرة" لتوصله للمطار الآخر ، كان السائق يحييه وهو ساهٍ عنه .. كان ينظر إلى الزاوية الأخرى ودمعه يدنف ، ولسان حاله:
من نار حزني قد اكتويت .. ومن أرض الملاحم ما ارتويت .. ما هذا قرار ارتضيت .. ولا طريق اهتويت .. أحسب أني جمعت من الصبر ما احتويت .. حتى استويت
سائق الأجرة لديه معلومة وهي : أن طائرة صاحبنا ستقلع قريبا فلا بد من السرعة ؛ لذا فقد كان سائقًا محترفًا لا يشق له غبار!
أخذ صاحبنا يهدئ السائق ، ولكن السائق لا يفهم عليه .. فاستمر في تشطيف مرايا السيارات والدخول بينها باحترافية ويد صاحبنا على قلبه.

فكر صاحبنا في كلمات انجليزية من الممكن أن يتدارك الأمر ، فوجد كلمة واحدة في معجمه حفظها حين الصغر .. ألا وهي كلمة Discount أخذ يكرر على السائق Discount ويشير بيده أن اخفض السرعة ، ففهم السائق أنه يقصد زيادة السرعة فضاعفها مضاعفة جنونية

في هذه اللحظة العصيبة سلم صاحبنا الأمر إلى الله وتوقع أن هذا السائق الغبي سيأتي "بالعيد" قبل أوانه .. لحظات وأتى العيد وكادت تذهب أرواحهم

في أثناء السرعة الجنونية كانت هناك سيارة أمام السائق، فأراد أن ينحرف عنها لليسار ، ولكنه فوجئ بسيارة أخرى أمامه ، فأعادها إلى مسارها ولكن اختل توازن السيارة ! فشعر صاحبنا أن المنية اقتربت، فقد السائق السيطرة على القيادة فانقلبت السيارة انقلابًا مروعًا سببه ثقة هذا السائق المحترف المغوار الماهر بتشطيف مرايا السيارات!

في لحظات تبين أنه "مهايطي" وما حولك أحد ، وأن نهاية الهياط انقلاب مروع!

تفقد صاحبنا نفسه فوجد رأسه في الأرض ورجليه في السماء ، فتح عينيه وحمد الله أنه لم يزل حيًا ... مرت عليه دقائق لم يستوعب فيها ما حدث، خرج السائق وصاحبنا من تحت السيارة والتقيا فأخذ كل منهما يرفع صوته على الآخر ويتهمه بأنه السبب .. والمضحك أن كل منهما لا يفهم الآخر(:

بعد هذا الموقف المؤلم والمضحك استأجر السائق سيارة أخرى لصاحبنا أوصلته إلى المطار .. في الطريق شعر أن يده قد أصيبت ولكنه لم يلتفت إليها.. وصل المطار فوجد الطائرة على وشك الإقلاع فأجل الكشف عن يده .. أقلعت الطائرة فركبها وهو مثخن بالجراح فمن مفارقة أرض الملاحم إلى انقلاب السيارة.

لم يكشف على يده الا في مكة المكرمة فوجد بها "رضوض" بسيطة بحمد الله، مرت أيام العلاج ثقيلة كئيبة على صاحبنا فقد تتكر له القريب والبعيد مما زاد هم صاحبنا وغمه هو "المنع من السفر" ، لكنه بعدما انتهى من إجراءات المستشفيات بدأ بالبحث عن طريق للنفير فلهب المعارك ولا لهيب القعود..

سرعان ما يسر الله لصاحبنا فنفر إلى أرض الشّام من جديد ، وها هو اليوم يراغم أعداء الله .. ولكم أضحكنا بقصته ومغامرته.

  

بوح:

يَتهادى إلى مسمعي صوتك الحزين يحمل عبقَ الماضي فتستثير لواعِج شوقي الدفين؛ كيفَ وأنت في جدثك تتنعّم وقد ضمتك إليها قوافل الطهر!

أتقلبُ بين ذكرياتي وحَنيني.. لا شيء سوى عين هاطلة وذكرى سارحة، قفز طيفك بين خيالاتي فاستحالَ حصيري أشواقا متقدة.. كيفَ وقد رحلت إلى ديار خلد!

فتنتَ رُوحي يا شهيد.

❖ تواق..!

بطلٌ باع دنياه بالجنات

أبو جمال .. كان ضابطا في الجيش النصيري، قامت الثورة فكان إخوته من أوائل الثوار .. وفي أول الأعمال المسلحة في "حلب" اصطفاهم الله شهداء.

إخوته عَرَفَ القريب والبعيد طيبتهم وحسن معشرهم، كانت دماؤهم الطاهرة وقود هذه الثورة الأبية .. كانت نورا للمجاهدين، ونارًا تصلي الكافرين!

أبو جمال كان ثوريا حتى وهو في صُفوف جنود الطاغوت، وكان يتحيّن الفرصة المناسبة للانشقاق.. وما إن بلغه خبر استشهاد إخوانه حتى انتفض!

خبر مقتلهم أقضّ مضجعه وأرّق كاهله فلم يستلذ بنوم ولم يهنأ بعيش؛ حتى ترجم غضبه إلى أفعال صادقة فانسلّ من بين صفوف الجيش وأعلن خبرَ انشقاقه

خبر انشقاقه كان كالصاعقة التي ضربت صفوف الطاغوت فبعثرت أوراقهم، وسرعان ما تناقلت وسائل الإعلام ذلك الخبر وسارَ به الركبان!

أبو جمال كان يتأجّج غضبا ويتهدّج ألما ويئنّ من الوجع .. لم يثنه بريق الشهرة ولا نشوة الفخر بأن يمضي في طريقه حتى يبلغ غايته أو يستشهد دونها.

كانت عادة كبار المنشقين من صُفوف الجيش أن يستقرّوا في "تركيا" حاملين شرف الانشقاق فحسب؛ أما أبو جمال فقد كان له نهجٌ مختلف!

أبو جمال .. أعلن انشقاقه ؛ فتناقلت الصحف خبره ؛ فصدّق انشقاقه بحمل السلاح فخاضَ أول المعارك مع الثوار المجاهدين!

كان قياديا في "معركة الخزان" وهي معركة طرد المحتل من منطقة [حريتان]، في الريف الشمالي لحلب حينما أراد اغتصابها .. كانت معركة من أشرس المعارك

كان الشباب يحملون السلاح الخفيف ويتخفَّوْن بينَ أشجار "الزيتون" ؛ فأتى العدو بكل قواته من طائرات ودبابات .. كانت الدبابات تقصف الشباب بشراسة

الأعداء بدباباتهم لم يجرؤوا على اقتحام القرية ؛ لأن شباب التوحيد يترصّدونهم من فوق الأسطح ومن بين الأزقة وداخل الأبنية ؛ كان السلاح سلاح العقيدة

أخذ الغاصب يضرب بالدبابة على الشباب وهم صامدون؛ حتى بلغ الخوف منهم مبلغه فلم يتعودوا بعد على أصوات القذائف والمدافع والدبابات!

كان "أبو جمال" فارسا من فُرسان تلك المعركة ، فعندما رأى خوف الشباب أخذ يثبتهم ويبعد الخوف عنهم .. حتى اليوم لم ينسَ الشباب تلك الكلمات

في لحظات الخوف تتشوّف النفوس للتذكير بالله ؛ فتنساب كلمات الثبات واليقين ندية من الشفاه فتستقرّ في أقاصي القلب فيطمئن ويستكين..

نصرَ الله الشباب بعقيدتهم وهمتهم وإيمانهم بربهم، ودُحِر الجيش بدباباته وقواته ذليلا مهزوما.. وسجلت صفحات الشرف أسماء الشباب.

مرت الأيام والشباب يُسطرون البطولات على جبهات حلب؛ حتى صاحت حنجرة "القصير" مكلومة مستغيثة .. فسمع الشباب الهيعة فطاروا إليها

كان قائدهم [حجي مارع] ومعه أصدقَ الشباب ومنهم أبو جمال، لبوا نداء "القصير" من جبهات حلب، وأخذوا يمشون شهرا بينَ وهادها ونجادها..

كان أبو جمال وحيدَ والديه بعد استشهاد إخوانه، فأصرّ الشباب عليه ألا يخرج معهم خوفاً عليه فرد عليهم : اللي خلصان عمره بيروح هون ولا هنيك[١]!

وصلَ الشباب وحاصروا ثم حُوصروا ودارت عشرات المعارك على جبهة القصير .. ثم عاد الشباب ناصعِي الجبين وقد أعذروا إلى ربهم.

عُرِف بورعه الشديد وتواصله مع الشرعيين ؛ فدائماً ما كانت أسئلته محل استغراب .. كان يسأل عن أدق التفاصيل ثم يقول "لا بد يحتاط الإنسان لدينه"

كان مكانه دائما في الصف الأول في المسجد ، لا يضيّع وقتا .. ومكانه دائما في الجبهات في مقدمة الصفوف!

ليلة يوم عرفة تقدم الغاصبون مسافات شاسعة بسبب خيانة من بعض المتعاونين مع النظام النصيري[٢]، فما استيقظنا في الصباح إلا والكفار على مشارف أرضنا!

تلك الساعة احترقت قلوب الشباب واهتزت وتزلزلت وانتفضت نصرة للّه .. فخرجوا بسلاحهم وحجارتهم يجابهون دبابات العدو كما خرجوا أول الثورة!

استرجع الشباب من العدوّ الغاصب مسافات شاسعة كان قد أخذها ، وبقيت جبهة "حندرات وسيفات" بيد العدو ولم يكتب اللّه الفتح للشباب.

بعد عشرة أيام من المعارك الحامية والاقتحامات اليومية كانت خطة المعركة هي في (قطع الطريق) على الكفار بين حندرات وسيفات وحصارهم فيها..

كان الأمير العسكري في تلك المعركة هو "أبو جمال" ومعه بقية الشباب .. رفض الإمارة مرات عديدة فأصروا عليه أن يستلمها لقلة الكوادر!

---

[١] أي: الذي انتهى عمره في قدر الله سوف يموت، إن كان في المعركة أو بيته.
[٢] وقد تم القبض على هذه الخلية.

قابلت ابن عمه قبل المعركة ، قلت له : وين أبو جمال ؟ قال لي : أبو جمال راح ! .. انقبض قلبي وشعرت بشعور غريب ! .. وين راح ؟ راح المعركة.

بدأت المعركة فكان الكفار متحصّنين بمزرعة، قسم أبو جمال مجموعته إلى قسمين فأخذ القسم الأول وتقدم .. كان التقدم خطرا إلا أنه كان في المقدمة.

صعدوا التلة .. وتحت التلة مزرعة الكفار .. نزلوا من التلة فأخذ الأعداء يحصدونهم بالرصاص .. تراجع البعض وتقدم الأسود لا يهابون الموت منغمسين في الأعداء

كان أبو جمال ورفاقه يرونَ زخ الرصاص وتحصّن الأعداء، ولكن ذلك لم يثنهم عن التقدم بل ظلوا يركضون إلى مصارعهم .. للّه در تلك النفوس!

كان أبو جمال يركض والطلقات من فوقه ومن تحته حتى أصابته "طلقة" في رأسه وبينه وبين الكفار أقل من ٣٠ متراً. قتل وهو مقبل غير مدبر!

سالت دماءٌ من أطهر الدماء .. على أطهر البقاع ؛ فروّت الأرض المباركة ؛ وأحيت قلوب الشباب ؛ فلله در دماءٍ رسمت معنى الحياة.

استشهد أبو جمال .. وشفى غليل شوقه لإخوانه الذين سبقوه فتمنى اللحاق بهم ؛ فكان ثالث الشهداء من أسرة واحدة .. ويا للتضحيات!

كانت دماء أبي جمال نورا للشباب ، ونارًا على أعداء اللّه .. فما هي إلا دقائق حتى بزغ الفجر .. وعلى بزوغه انغمس الشباب فانهزم أعداء اللّه وهربوا

فتح اللّه على الشباب فتحا مبيناً ؛ فأخذوا طريق الإمداد بين حندرات وسيفات وحاصروا الكفار وغنموا منهم الغنائم الكثيرة وقتلوا منهم العشرات..

كانت بداية أبي جمال بانشقاقه وانضمامه للمجاهدين، وكانت ختام معاركه معركة "طرد الغاصبين" وشهدت له ثغور حلب وتخوم القصير..

أبو جَمال .. طاهر الأركان، نقيّ القلب، لم يحمل غلا ولا حقدا ولا حسدا، ابتسامة عذبة، وخلق حسن، هين، لين، سمحٌ وقور، صامتٌ مهيب، شجاعٌ مقدام.

بكى عليه الأطفال الذين كان يلاعبهم .. والمسجد الذي كانَ يُصلي فيه .. والصّحاب الذين أخذ قلوبهم .. والقرية التي ترك في كل زاوية منها شذى من عطره.

كان وحيد أمه ؛ فعندما بلغها نبأ استشهاده ازدادت ثباتا وصبرا ولم تغيرها الخطوب.. وتذكرت أن أرحام الأمهات ستنجب ألفَ بطل مثله!

كان يبحث عن "فتاة الأحلام" لتكون عرُوسًا له ؛ فقبضَ اللّه رُوحه قبل أن يجدها ؛ ليدخر اللّه له حُور الجنان بإذن اللّه..

تلك الأنفاس الطاهرة .. لن ننساها يا أبا جمال ما حيينا ؛ فسلامُ اللّه عليكَ يوم ولدت، ويومَ مُت، ويوم تُبعث حيا..

سجلٌ من البطولات .. ونياشين من التضحيات .. سطرها البطل على الجبهات .. بدأت بانشقاق وختمت بانغماسات .. عنوانها: بطل باع دنياه بالجنات

  

بوح:

وأنتَ تقوم بما أولاك اللّه به من عمل ؛ استشعر أنك على ثغر عظيم من ثغور الأمة ، فأحكم سدّ ثغرك وإياك أن تؤتى الأمة من قبلك!

ليكن سدك منيعا؛ لا تهزه القواصف ولا تحركه العواصف!

❖ تواق..!

صد العدو عن تل حدية

تقدَّم الرافضة منطقة شاسعة في "ريف حلب الجنوبي"، أمام ضعف الفصائِل وانسحاباتها؛ حتى باتوا على مقربة كبيرة من طريق (استراد حلب الدولي) ومن ثم كفريا والفوعة!..

عندها تحركت أرتال الجيش المبارك "جيش الفتح" لـ تُوقف زحف الرافضة فتقابل الفريقان وجها لوجه، وقبل أن تنطلق شرارة المعركة قام الشباب بتعزيز نقاط الرباط وحفر الخنادق ورفع السواتر..

بعد أيام مُضنية من الإعداد والتجهيز والشباب يعملون عمل الليل والنهار ولم يستريحوا إلا قليلا؛ ليجعلوا تلك المنطقة مقبرةً للرافضة إن حاولوا التقدم عليها؛ مُقاسين لآلام البرد والعراء والخوف!

في ساعات الشدة تكون الآلام والمخاوف آمالا ولذائذ .. فتستحيل حفرة "الخندق" المليئة بالوحل والأذى ملاذا دافئا وآمنا، وتستحيلُ القذائفُ بردا وسَلاما .. ويستلذ القلب ببرد اليقين!

في ثلث الليل الأخير كان الشباب يُرابطون على تخوم الأعداء فإذا بتمهيد السّلاح الثقيل قد بدأ من كل مكان، فأحس الشباب بخطورة الأمر فرفعوا الجاهزية واستعانوا بربهم ..

سياسة العدو قبل التقدم "إحراق الأرض" بكافة الأسلحة والراجمات والطائرات والصواريخ فيُهلك الحرث والنسل مقابل أن يحظى بالأرض، وهذا ما حصل في محور "تل حدية" فقد ظل العدو يُحرق الأرض لأكثر من ثلاث أو أربع ساعات!

وعندما طلع الصّباح تقدم العدو وهو مطمئن ظانا أن المنطقة ستُسلم له كما سُلمت

من قبل، ولم يعلم أن أسود التوحيد يرقبونه من خلف السّواتر ليلتهموهم عن بكرة أبيهم!

رغم شدة القصف إلا أن الشباب لم يغيروا أو يبدلوا بل ظلوا في مواقعهم ثابتين ينتظرون إحدى الحُسنيين؛ فتقدم العدو مستمرا في تمهيده والشباب لم يُطلِقوا عليه طلقة واحدة!..

مجابهة العدو وجها لوجه تكلف فاتورة دم كبيرة وخسائر فادحة؛ لذا لا بد من المناورات والاحتيالات، وهذا ما فعله الشباب .. لم يطلقوا طلقة على العدو حتى اقترب وهو مطمئن بأن المنطقة فارغة وستُسلم له باردة.

لم يعلم أعداء اللّه أن شباب العقيدة لن يسلموا المناطق إلا على دمائهم وأشلائهم .. اقترب الكفار منهُم كثيرا ولم يبقَ بينهم سوى مسافة ٥٠ متراً فقط، وهنا كانت المُفاجأة!

أشعل الشباب الأرضَ نارا من تحت أقدام الرافضة وفتحوا عليهم كل أنواع الأسلحة فأرْدَوهم ما بين قتيلٍ وجريح وشريد .. وقذفَ اللّه في قلوب الذين كفروا الرعب.

شعر أعداءُ اللّه وكأن ملائكةً من السماء قد نزلوا عليهم ! فلم يستطيعوا مقاومتهم ولا مُجابهتهم وارتدت عليهم كل أسلحتهم هباء تحت أقدام المجاهدين وثباتهم.

أصبح الهُجوم عكسيا؛ فالرافضة يهربون والشباب صامدون ثابتون ببواريدهم الخفيفة يُحرقون أرضَ الرافضة فيسدد اللّه رميهم فتتجندل جموع الرافضة ويغنم الشباب سِلاحهم وعتادهم.

وجد الشباب من بين الغنائم عربات مصفحة لا تخترقها طلقات الرصاص مليئة بصناديقِ الذخيرة لم يجرُؤ الكفار على فتحها ولا الهروب بها لما قذف الله في قلوبهم الرعب.

وجد الشباب جثة رافضية عراقية ، فتشوا جيوبها فوجدوا "الهاتف المحمول"، أخرجوه فوجدوا من بين الأسماء (ماما .. بابا) فأحبوا أن يُطمئِنوهم بطريقتهم الخاصة(:

اتصلوا على الرقم فرد أهل الرافضي العراقي :(كيفك يا بهاء ؟ طمنا عنك يا بهاء .. بهاء .. بهاء) بعد صمتٍ ليس بالطويل رد الشباب :(نبشركم بهاء تم الدعس عليه ومعكم المجاهدين).

من المتوقع أن أهل الرافضي بعد هذه البشارة الجميلة في الصباح الباكر والجو العليل أتتهم صدمة وجلطة وسقطوا أرضا من شدة الرعب ثم ماتوا في الأخير(:

أدب المجاهدون أعداء الله ولقنوهم درسا قاسيا لم يعتد عليه الأعداء وأعطوهم نموذجا مصغرا لرجال الحرب، وما هي إلا فترة يسيرة وتبدأ المعركة يا أعداء الله لقد جئناهم برجال يُحبون الموت ويتلهّفون لرشفِ دماء الرافضة وتخضيب أقدامهم بدمائهم وليرينَّ أعداء ما يُصنع بهم إن اشتعل فتيلُ المعركة .. والأيام بيننا.

  

بوح:

كن وفاضاً .. فيّاضا بالحُب!

كن صدراً يحتوي بوح الصحاب، وحديقة يستريح بظلها الأحباب .. وأملاً يرتسم على الشفاه!

انتزع الأشواك من القلوب، وامسح وجها ملأته الندوب، وانثر الورود في كل الدروب .. وكن فجراً يجلو عن الحزين أساه!

كن غيثاً للأرواح المقفرة، وظلا من الشمس المحرقة، ونوراً في الأزقة المظلمة .. وبدراً يغمُر الكونَ ضياه!

كُنْ حياة للحَياة!

❖ تواق..!

قصة أبي سليمان والموتور

أما اليوم فقد افتقدنا [القشد] النجدي، الذي كان يصنعه لنا أبو سليمان بيديه مع قهوة الصباح؛ لأن أبا سليمان اليوم يرقد على السرير الأبيض!

أبو سليمان .. انضمّ إلى جموع المهاجرين مؤخرا، سألته: "لمَ تأخرت، فمثلك أحق بالنفير من وقت طويل!" قال : "واللّه أن قلبي يحترق، وزاده حسرة أن كل طلاب حلقتنا نفروا وبقيت، أبقاني بلوغ السن القانوني لإخراج جواز السفر"

أبو سليمان أصغرنا سنا ولكنه أكثرنا خدمة لإخوانه وتذللا لهم، غالب وقته بين رباط الجبهات وصنع الطعام للشباب..

اقترح أحد الإخوة أن نأتي بـ"برميل مندي" ونحفر له في الأرض، فأعجبت الفكرة أبا سليمان فأخذ يبحث عن وسيلة تواصل للبحث عن البرميل.

غالب تنقلات أهل الشام على "الموتور=الدباب" ومشكلة الموتور أن غالب المهاجرين إذا ركبوه انقلبوا عليه وأتتهم إصابات منه.

أبا سليمان أخذ يتعلم على الموتور، وأتقن قيادته في بضعة أيام .. بالأمس أتى إلى الشباب مسرعا وأخذ يستعرض عليهم ويتفنن ويظهر عضلاته(:

وما هي إلا لحظات حتى خرجت سيارة مسرعة عليه وهو يستعرض ففقد السيطرة وانقلب الموتور فأصبح رأسه في الأرض ورجلاه إلى السماء!..

نوبة ضحك هستيرية نزلت على الشباب فلما اقتربوا من صاحبنا وجدوه مغمى عليه ويتصبب الدم من أذنيه، وهو في طريقه للإتيان لهم ببرميل المندي!!

أبا سليمان تسمعني ؟؟ ولكن أبا سليمان غائب عن الدنيا ! وتحولت نوبة الضحك إلى نوبة حزن على صاحبنا.. ثم أسرعوا بأخذه إلى المشفى الميداني.

أبو سليمان فاق من الغيبوبة في سيارة الإسعاف فرأى السائق مسرعا فقال له بصوت متهدّج: أرجوك خفف السرعة . ولكن السائق زاد العيار فاصطدم!

حادث إثر حادث جندلت صاحبي بالدماء .. أسرعوا بأخذه إلى المشفى الميداني، فلم يظهر أثر كسر، ولكن إمكانيات المشفى بسيطة فحولوه إلى مشفى آخر.

المشفى الثاني حولوه إلى مشفى حدودي حديث؛ فأخذه أبو ناصر بسيارته الجيب السوداء .. كشف الطبيب عليه فرأى حاجته للتنويم، ومن ثَمّ كانت الفاجعة!.

في صبيحة اليوم التالي؛ وقفت سيارة في باحة المشفى الحدودي الحديث .. وأبو سليمان منوّم بدمائه ويحتاج إلى راحة كبيرة وأبو ناصر مرافق له.

السيارة التي صفت في باحة المشفى كانت "مفخخة!" وفي تمام الساعة العاشرة والنصف، دوّى ذلك الانفجار الهائل الذي خلع أسرّة المرضى من مكانها! ..

تطايرت شظايا الزجاج على أبي سليمان المكلوم فسال الدم من وجهه ومن يده أكثر من قبل، فأحس بقرب الشهادة وأصبح لسانه يلهج بذكر الله من غير شعور!

أبو ناصر مرافق أبو سليمان طارت "شظية زجاجية" على عينه كذلك وبعض الجروح الطفيفة على يده، وسيارته تهشّم زجاجها وتضررت..

عشرات الإصابات وثلاثة عشر شهيداً من الانفجار في المستشفى الحدودي، واستقرت الشكوك على تورّط النظام النصيري بهذه الجريمة البشعة.

تم نقل الجرحى إلى مشفى آخر، فهرعتُ إلى الصحاب أتفقدهم.. دخلت على أبي سليمان فرأيت ثوبه مسربلاً بالدم، ويقول بصوت متقطع: نفذوا فينا استشهادية!

كتمت الضحكة، وقلت له : "أنت مقتنع أنها استشهادية؟" قال : "لا ولكن هم يعتقدونها كذلك" ثم ذكر لي قصته الحزينة فكتبتها على الورق..

قصة أبي سليمان عجيبة غريبة ، خلال ٢٤ ساعة تعرّض لحادثين وتنقل بين أربعة مستشفيات واقتحمت عليهم سيارة مفخخة ومع كل هذا سلم ولله الحمد!

عندما تماثلوا للشفاء، أتوا بسيارتهم المتضررة إلى المقر.. المضحك أن حواجز التفتيش يرون السيارة المكسرة فيتركون الحاجز ويهربون، يحسبونها مفخخة!

  

بوح:

الحياة الهازلة لا تصنع الرجال!

أسامة بن زيد .. زاحم العظماء فخاض غمار أول معركة يوم "الخندق" وهو ابن (١٥) سنة .. ورأى مصرع أبيه وتساقط القادة أمام عينيه يوم "مؤتة" فلم تفت عزيمته وهو دون الـ(١٨) سنة .. وتسلم قيادة جيش المسلمين لغزو الروم ففتح اللّٰه على يديه الفتوح العظيمة المبينة وهو دون الـ(٢٠) سنة!

أما صاحب الـ(٢٠) سنة اليوم؛ فهو رقيقٌ ناعم .. أشغلته "التقنيات، والتطورات، والضحكات..." عن الحياة الجادة والهمة الوقادة التي تنصر الإسلام وتعيد مجد الأمة.

لن يقوم هذا الدين إلا على "أولي العزمات"

فكن (أنتَ أنت) .. يا فتى العزمات !

❖ تواق..!

أبو الحارث الأنصاري

واحبيباه..

تنفد دموع العين عند الوداع..

ويُمَضّ الفؤاد برحيل الأحباب..

وتعتصر الروح ألما عند الفراق..

أبو الحارث..

ذلك القلب الصغير .. شرب حُبّ الجهاد وولعت روحه به ؛ فما إن اشتدّ عوده حتى ترجم حبه إلى أفعال فحمل السلاح ولمّا تنبت شعرات لحيته بعد!

الفتى الفتيّ..

كان متفوقا في دراسته وأثار إعجاب معلميه وأقرانه .. وما إن راجت سوق الجهاد الشامي حتى كان من أوائل المنضمين لصفوف المجاهدين.

والد علي حاز شهادات عالية في الطب، فكان يلحّ على ابنه دوما أن يخرج إلى الخارج ويعطيه ما شاء .. ولكنه أبى حياة الترف والخنوع فعاش وحيدا.

"علي" ترك دراسته ومستقبله الوردي .. المستقبل الذي يطمح له آلاف الشباب .. أنكر عليه الكثير .. ولكنه كان أزكى منهم ؛ لأنه بدأ يعد لبناء مستقبله في الجنة!

سرعان ما انتقل علي من حياة الدعة والراحة إلى حياة الهمة والعزيمة ، فأحب الجهاد وأهله واختار رفقته وصحابه .. وسار على درب الأُباة الصّابرين.

بدأت نيران الشوق تكوي قلبه الصغير .. الشوق لقبلة على رأس أمه وأبيه .. والشوق لملاعبة أخواته الصغار .. اعتصر قلبه ولكنه احتسب أشواقه عند ربه.

تكنى علي بـ"أبي الحارث" .. المجاهد الصغير .. عمره ١٦ سنة .. شهد المعارك من بداياتها وكان أسدا جسورا مقداما منغمسا مرهبا لأعداء الله.

كان يُوقد فتيل الهمة في صدور أصحابه من حيث لا يشعر .. فإذا ما كان اقتحام كان في الصف الأول فيرون جسارة قلبه فينتفضون جميعا مثله.

مضت الأيام والشهور سريعة فاشتد عود "المجاهد الصغير" فأصبح عمره ١٨ عاما .. وما زادت الأيام صاحبي إلا ثباتا على الطريق.

في معركة من أكبر معارك "حلب" كان من أوائل المشاركين .. وعندما تم اختيار الانغماسيين وقع اسم علي مع أول مجموعة انغماس.

سُدِل السّتار .. وادلهمّ الظلام .. ونامت العُيون .. فزان الاقتحام .. أخذ صاحبي يرقب هذه الليلة الحافلة بما يسرّه .. مرت الدقائق سريعة.

لحظات وأتى أمر الاقتحام فاستعان بالله وانقضّ على أعداء الله .. عبر "خطّ النار" بين طلقات القناص ودويّ القذائف حتى وصل!

وصل علي ورفاقه إلى ثكنة أعداء الله .. دخلوا عليهم الباب .. فلما توسطوا مدخل البناء حدث انفجار هائل تساقطت له الحيطان وانصدعت له الأبواب!

كان علي في مقدمة الصف ، فحينما انفجر اللغم تضاعف ضغط الهواء فرماه إلى الأمام .. علي علي .. نادوا عليه فلم يرد .. علي انتقل إلى عالم آخر.

انتثرت دماء علي الطاهرة على الأرض لتزين طريق الجهاد .. سالت دماءٌ قد أُثخِنت بجراح أمتها ؛ فنصرتها بدمائها ؛ وكانت جسرا يقود إلى الخلود.

اصطفى الله أرواح خيرة الشباب .. ومضت قوافل الشهداء ؛ لنعلم أن الطريق هو جهادٌ واستشهاد ، وكِفاحٌ حتى الممات.. وكم ممن مات صغيرا ولكنه مات عظيما.

بربكم ..

من علمه لُحون الكرامة ؟

من سقى دماه بنار البسالة ؟

من ملأ عروقه ثأرا ونخوة وشهامة ؟

دماء علي كانت نورا ونارا .. نورا للصحاب فكم ممن استضاء الطريق .. ونارا على أعداء الله أحرقتهم ففتح الله على الإخوة بعدها عشرات البنايات.

كيف راح الصحاب ؟
كيف طار الصحاب ؟
آهٍ أيتها الأفراح..
متى ننعم بحلاوة الوصال ؟
ونلقى الأحبة .. محمدا وصحبه.

وعلى ثرى تراب أرض الرباط .. سالت دماءٌ وانتثرت أشلاء ؛ لتنقش لنا قصة جديدة من قصص الأبطال؛ لتضيء لنا الطريق .. طريق العزة والجهاد.

وداعا يا علي..
والملتقى جنان الخلد بإذن الله..

  

بوح:

في الشام جيلٌ فريدٌ يتربّى على العزة والبطولة .. يحترق لحمل الرسالة المكتوبة بدماء الشهداء !

في الشام جيلٌ يُبشر أمته بأنه سيحملُ السِلاح ساخِنا من دماء قدواته المجاهدين؛ ليُحرق به أرض الأعداء!

في الشام جيلٌ –لو علمتم– سيرى نصر اللّه القريب، وستقرّ عينه بالصلاة في المسجد الأقصى، وتحكيم شرع اللّه على كل التخوم بإذن ربه.

أبشري أمتي ؛ فأبناء الشام يبنون مجدك القريب، ويعيدون عزك التليد، وإنّ غدا لناظره قريب!

❖ تواق..!

غزوة الأشبال

قام أحد المعلمين في إحدى المدارس -التي تتبع رُوحيا لنظام البعث النصيري- بضرب أحد الطلاب الصغار لأنه لبس لباس المجاهدين .. أتانا الطالب وعينه مليئة بالدموع

لم نتحمل ما سمعناه فذهبنا إلى المدرسة وانتصرنا للطالب .. ثم عدنا إلى المسجد ، بعد هذه الحادثة انفجر الطلاب بين أيدينا بذكر أحوال المدارس المريرة.

المدارس اليوم دمرت الدين، والقيم، والأخلاق .. والمصيبة أن الآباء يجبرون أبناءهم بحجة التعلم .. احتمت قلوب أشبال العقيدة من مصائب مدارسهم

أثناء جلوسنا مع إدارات المدارس بعضهم مؤيد للنظام النصيري، وبعضهم يريد علمنة المدرسة بعزل الدين عنها ، والأكثر لا زال يخيم عليه شبح الخوف!

ثم أخبرَنا بعض الطلاب أن مدرستهم لا زالت تحمل مجسم التدشين للطاغوت "حافظ الأسد" في ممر المدرسة ولم يكسر منذ سنين!

لم نصدق هذا الأمر، وتأكدنا من الطلاب فأكدوا لنا بقلوب ممتلئة بالغيظ والقهر .. وعَدنا الطلاب بأننا سنزور المدرسة غدا ونتعامل مع الموضوع

بعد نهاية حلقة القرآن انصرف الطلاب، وعقدوا اجتماعًا سريا بعيدا عن أعين المعلمين .. خرجنا فوجدنا خمسة منهم واقفين على سُور المدرسة!

كان الطلاب واقفين بانتظام ويخبئون خلفهم أمرا غامضا ، لم نعر الأمر اهتمامنا وذهبنا .. بعد ساعة عدنا إلى المسجد فرأينا ثياب الطلاب قد اتسخت!

الطلاب نفذوا المهمة!

كانت وقفتهم تخبئ خلفهم خرقا في سور المدرسة، ثم أخذ أحد الطلاب يحكي ما حصل : اجتمعنا على السور وفتحنا "طلاقية صغيرة" وتقسمنا بين اقتحاميين ومرابطين! (الطلاقية: فتحة في الجدار لرصد العدو)

سرية الرباط كانت تخبئ الطلاقية خلفهم وترصد لهم المنطقة وتؤمن ظهور المقتحمين .. تسلل الطلاب واحداً تلو الآخر بمشية هادئة من غير ضجيج ولا ضوضاء.

أول مجموعة استكشفت المدرسة وقامت بتمشيط الغرف والصفوف فوجدت الأمور على ما يُرام فأشارت لأصحابها بالتقدم.

كانت غرفة المدير مرتفعة ، فصعد أكبرهم على السور وأخذ يسحب أصحابه الصّغار .. حتى وصلوا إلى غرفة المدير وحددوا موقع صورة الطاغوت

ثم أخذ أشبال العقيدة يسحقون صورة الطاغوت بسواعدهم المباركة ، ويفتتونها بمناجل التوحيد ، وعزة الجهاد تتفجّر من عُروقهم الطاهرة!

ثم قاطع أحد الأشبال قائلا : يا أستاذ أسقطنا مجسم الطاغوت بالتكبير!

عاد الأشبال إلى الخط الخلفي وخرجوا من الطلاقية الصغيرة متسللين بهدوء وهم يكبرون ويهللون فرحا بغزوتهم المباركة.

بعد هذا الصنيع أتى الطلاب يزفون البُشرى لمعلمهم ومعهم "حلوى" النصر وهم يقولون : هذه أول معركة لنا وانتصرنا فيها ولله الحمد.

الصغار لم يأمرهم المعلم[1] ، ولكن أمرتهم عقيدتهم التي غرسها المعلم في صدورهم فاستحالت أفعالا بريئة مزلزلة تهدد نعوش الطواغيت!

[1] تواق رحمه الله

سنة الاستبدال ماضية .. وها نحن نرى جيلا مؤمنا يصنعه المجاهدون المربون على أعينهم ، تكلؤهم رعاية الله وتحفه رحماته.

قام المعلم بعد هذه البشارة بوعد كل طالب قام بالمهمة بـ"طلقة كلاش" و"بدلة عسكرية" مكافأة على صنيعهم المبارك.

هيه يا أشبال العقيدة

  

بوح:

الشباب هم وقود الأمة .. والعلماء هم قادتها .. فإذا كان الشباب يحملون أرواح المدافع .. والعلماء يوجهون دوي القذائف : توجت الأمة بتاج العزة والنصر ...

علماؤنا هم أئمتنا و قدوتنا ، من نورهم سلكنا الطريق ومن ثني الركب عندهم هدانا اللّه، لا يتجرأ عليهم ويسقطهم إلا غرٌّ جاهل وما نحن إلا قطرة من بحرهم ....

❖ تواق..!

دماءٌ مُضمَّخةٌ بالبطولة

الهجرة شاقة وتكاليفها باهظة، ولكن مصيبة أمة تُذبح من الوريد إلى الوريد أكبرُ مشقة وأعظم فاجعة، وشلالات الدماء المُهراقة في كل بقعة لن توقفها إلا عزماتُ الرجال.

عندما استغاثت الحرة بأهل النخوة والشهامة لم ترَ من أصحابَ القرار إلا تخاذلا وقعودا ؛ لذا فقد عزم صاحبي على النفير واختار طريق المخاوف والآلام ليلتحق بركابِ المهاجرين

لم يختر صاحبي طريقا مفرُوشا بالوُرود ولا مُعفَّرا بالرياحين ؛ بل اختار طريقا مُعبّدا بالدماء ومُرصَّعا بالأشلاء، مليئا بالمخاطر والتضحيات لتنعم أمته بالدرب المستنير!

صاحبي هجرَ والديه وبيته ورفاقه ووطنه مُهاجرا إلى الشام؛ ووطئ على لذائذ قلبه لينصر الدين وليكون رجلا يومَ أن قلّ الرجال .. وعبرَ الحُدود في جنح الظلام!
أبو عزام الجداوي .. سمعت عن هذا الاسم كثيرا، ولم يكتب اللّه لي لقاء به يشفي الغليل حتى انتقل إلى ساحة حلب وابتدأ العمل بها ونقل لها نشاطاته الدعوية والعلمية.
جمع لطلب العلم، روح الفكاهة والمُزاح والتواضع فكان محبوبا بين الشباب .. فرحتُ لقدومه، وحرصت على اللقاء به حتى ننتفع منه بأقصى قدر ممكن .. قابلته ورأيت البسمة دائمة على محياه

أتذكر ذلك اليوم الذي كنا نتسامرُ فيه على ضوء القمر .. جلسنا جلسة مطولة حتى تأخر الليل وهو يقصّ لي رحلة (جبال القلمُون) وما فيها من المصاعب والآلام

لستُ جديدا على الشام، ولستُ بعيدا عن أخبار معاركها، ولكني عندما سمعت حديث القلمون بُهرت، وتدلت شفتي من غير شعور وأنا أستمع لتلك الأخبار ! (وقفَ شعر رأسي) عندما أراني صورة لرفقة القلمون وقد لقوا حتفهم كلهم في معارك الأبطال ولم يبقَ إلا هو! أعدت عليه السؤال: كل هؤلاء استشهدوا وبقيت أنت ؟ قال : نعم كم هو صعبٌ على الإنسان أن يُفارق صاحبا له فكيف بفراق كل الأصحاب؟ كم هانت علينا مصائبنا أمام مصائبك؛ فنحن حتى الآن لم نتجرّع مرارة المصائب كما تجرعتها أنت واختارك الله للنجاة

بعد معارك القلمون توجه إلى بادية حمص، وكان هناك مُربّيا للشباب وموجها ومرشدا لهم يحل مشاكلهم ويأسوا جراحهم ويعلمهم أحكام دينهم وإذا أتت معركة كان في مقدمتهم

بعد رحلة البادية اختار أرض "تفتناز" موطئا له، وهناك فتح الله عليه بالمعاهد الشرعية ودفعاتها التي تخرجت على يديه واستفادت من علمه فلا زالت تدعو له حتى اليوم

عرفَ أن المهاجر ضيفٌ فتحلى بآداب الضيافة .. كانَ ضيفاً عزيزاً لأهلنا في الشام، لم يؤذهم بكلمة، ولم يجرحهم بحديث، بل نصرهم بنفسه وماله حتى آووه وأيدوه وصاهرُوه.

كان صاحباً أنيساً ذليلا لإخوانه المهاجرين، يدخل السرور عليهم بأحاديثه وقصصه وضحكاته حتى يسليهم ويملأ المجلس أُنسا وبهجة، ولا يتخلف عن اجتماع لهم

كان كارها لمن أساؤوا لأهل الشام بتسلطهم واستبدادهم وغلوهم، فأعلن البراءة منهم وحذر من منهجهم، وعصمه الله من فتنتهم

عامة الناس أحبته وألفته وكانت تسعدُ لرؤيته، حتى الأطفال الصّغار لم يكن مُحتقرا لهم بل كان خافضَ الجناح سهل التعامل ليّن الحديث نموذجا لما ينبغي أن يكون عليه المجاهد

وبعد أن أسَّسَ المعاهد الشرعية في تفتناز انتقل إلى ريف حلب؛ فقد أبى -رحمه الله- إلا أن تشهد له كل بقعة من بقاع الشام

من حين قدومه إلى ريف حلب بدأ الدروس في المقرات ونشر العلم بين الشباب، ومن ثم عمل على تأسيس المعهد الشرعي فكان يأخذ جل وقته حتى انتهى من تأسيسه وفي الليلة التي تسبقُ ليلة افتتاح المعهد الشرعي، كانت هُناك يدٌ آثمة تحمل الخطيئة تسير في الليالي المظلمة تتربص بأي مُهاجر .. ما نقموا منهم إلا أن آمنوا بالله العزيز الحميد .

خرج أبو عزام من بيته قاصدا محلاً قريباً، قابل مجموعة من الشباب فأكرمهم بهدية بسيطة إحساناً منه، وجلس قليلاً مع صاحب المحل مؤنساً له ثم قضى حاجته عائداً إلى منزله

قبل أن يصل إلى منزله بأمتار قليلة كان على موعد مع ربه .. وكانت اليد الآثمة تحمل الخطيئة وتصوب فوهة بندقيتها عليه، فأفرغت فيه عدة طلقات ثم ولت هاربة!

قُتل أبو عزام بطعنة غدر في ليلة ظلماء، مات كما يموت الرجال ناصعي الجبين يستقبلون الموت بكل جسارة، أما أعداؤهم فيتخفون بانهزامية ويقتاتون من موائد الذل والخيبة

نحسبُك نلت أقصى أمانيك يا صفيّ الروح، فقد كنت تطلب الشهادة زمنا طويلا، وها أنت قد نلتها .. وقد نال عدوك لعنات الذل والعار التي ستلاحقه في الدنيا

والآخرة.

كنتُ نائماً حينها ولم أعلم عن خبره إلا عند الصباح .. لقد تجمّد الدم في عروقي وانعقد لساني وطأطأتُ رأسي من هول الفاجعة، ثُلمنا بك يا صاحبي وأي ثلمة هي!!

طُلاب العلم صمام أمان لساحة الجهاد؛ وفقدهم ثلمة كبيرة وفاجعة وخطبٌ جلل، الذين لبوا النداء قلة وفقدُ هذه القلة مصيبة .. والخيرة فيما اختاره اللّه.

أرثيك أيها الحبيب الودود، أيها الأديب الأريب، أيها الصديق الصدوق، أرثيك يا طاهر النفس وياصفي الروح .. أرثيك وعَبراتي تسبق عِباراتي!

عرفتك الشام قبل أن تعرف المهاجرين، تسللتَ إليها بصمت وقاتلت من دون شهرة وشهدت لك الكثير من بقاعِها حتى ارتحلتَ وعليك مهابة الشهداء!..

لقد آن لقلبكَ الغضّ أن يستريح ؛ فقد أتعَبته أوجاعُ أمته وأرهقته صرخاتُ الحرائر وقطّعت نياط قلبه استغاثات الثكالى واليتامى .. لبيّتَ النداء فحُق لك الارتياح.

نَمْ قريرَ العين واهنأ .. ففؤادك الذي احترقَ في "بلاد الحرمين" قد آنَ له أن ينثُرَ دماؤه الساخنة على جبينك الأغر لتسقيَ تُربة الشام وترويها من دماء المُهاجرين..

كما كان الخبرُ ثقيلا عليّ فقد كان أثقل على صاحبك "سراج" الذي رافقك في جبال القلمون وبادية حمص وتفتناز وريف حلب، حتى آخر أيامك كان مرافقا لك لا يُفارقك إلا قليلاً.

كنتَ الأخ الحقيقي لـ "سِراج" الذي لم تلده أمه، فعوضته عن آلام غربته ومفارقته لأهله .. وعوضك عن فراق أهلك وأحبابك، ذهبتَ وتركت كبده تتقرّح من ألم الفاجعة!

أما "عمك" فقد طعنَ في خِنجرا أوجَعني، ويشتد وجعه كلما رأيتُه؛ عندما أخبرني

أنه حزن لفراقك أشد من أيام حزنه على فراق والده ! .. ياالله .. أي محبة نلتها حتى فُجِع الجميع بك .؟

أما زوجُكَ فمصيبتها أطمّ من كل من سبق، فقد فقدت رجلا عظيما .. ولكننا نحسبها مؤمنة صابرة عاملة بما يُرضيك جعلتها طالبة علم مُتفوقة على عينك مؤمنة بقضاء ربها فلم تزعزعها المُصيبة

يا قبيلة (زهران) حُقّ لكِ الفخر؛ ففلذة كبدك قد أبرّ بيمينه ونال موعوده بإذن ربه، وها هي فلذاتُ أكبادكم من فوارس زهران تملأ ساحة الجهاد وكل فترة نودع فارسا منهم .. ورحم زهران لم يزل ولودا، وأبناؤها يتوافدون لحمل الراية ؛ فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر.

تلك هي قصة الكفاح والجهاد .. ابتدأت من سُفوح القلمون، مرورا بـ بادية حمص، وعبورا على تخوم إدلب، لتتسكِب دماؤها على طرقات حلب .. فتستحيل أرض الشام حضنا دافئا لذلك الجسد.

وداعا لتلك العُيون الساهرة، والصيحات المكتومة، والآلام المكبوتة، والأماني الأليمة والدمعات الحزينة...، ذهب ظمؤها وثبت أجرها إن شاء الله.. نم يا صاحبي.

فقد تعب جفنك من طُول السُّهادْ، وأقضّ مضجعك طول هجرك للرُّقادْ .. نم في سلامْ .

سَلامُ الله عليكَ يا أبا عزام حين وُلدت وحين هاجرت، وحين قاتلت وحين قُتلت، ويوم تُبعث حيا .. سلامٌ على رُوحِكَ في الخالدين

  

الخاتمة:

في عصرِ يوم الجمعة الرابعِ عشر من شهر ربيعٍ الأول سنةَ سبعٍ وثلاثين وأربع مئةٍ وألف من الهجرة، في مدينة حلب الشهباء ترجّل الفارسُ وفارق الدنيا مرخصًا النفس والروح للّه، وارتقت روحه إلى السّماء حيثُ كان يتطلّع دائمًا ..

مضى بطلقةٍ من عدوّ اللّه استقرت في جسده أثناء انغماسه، فارتوت أرض الشام من دمائه؛ حتى فاحت أزهارُها طيبًا، وشذًى يروي للمحتذى أسْمَى حكاية!

  

الفهرس